وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الموضوع:

الأوضاع الاجتماعية في مصر في القرن الثامن عشر من خلال كتب الرحالة الفرنسيين

مقدمة مذكرة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية

من إعداد الطالبتين:

- فطومي سارة
- ضية رانية

تحت إشراف الأستاذة:

- كردين سهيلة

السنة الجامعية: 2021م-2022م / 1442هـ-1443هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



نتوجه بالحمد والشكر إلى المولى عز وجل ، الذي جعل لنا نورا إهتدينا به في الظلمات، وعقلا ميزنا به بين المتشابهات ومنارا إهتدينا به من التيه في مفارق الطرقات.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة"سوهيلة كردين"التي لم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها والتي كانت دائما الوجه البشوش الذي يزودنا بالإرادة والأمل .

إلى كل أساتذة جامعة المدية ونخص بالذكر أساتذة قسم التاريخ منهم الأستاذة حمصي حفيضة وعمال المكتبة المركزية.

إلى كل من ساعدنا في هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

أهدي هذا العمل إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى إنسان في هذا الكون

أمي الحبيبة أطال الله في عمرها

من حملت اسمه وأنهكه طول الانتظار ودعمني بدعاءه ورضاه في كل الطوار

أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى إخوتي وأخواتي الذين زينوا حياتي وتقاسموا معي الأفراح

إلى كل من كانوا رمزا للوفاء والإخلاص صديقاتي وبنات عمي وأخص بالذكر: أسماء،

دلال، هاجر، أمال، عائشة، سميرة، فاطمة،

إلى من كانت دائما السند أختي نعيمة.

الى من قاسمتني هذا العمل صديقتي رانية

الى كل من تمنى لي التوفيق وساعدني بالكلمة الطيبة

الى كل من كان قريبا منا بدعواته وتوجيهاته ونصائحه الى من نسيه قلمنا وحفظناه في قلوبنا.



اهداء سارة

أهدي ثمرة هذا العمل إلى أعز الناس على قلبي ، إلى شمعة التي إحترقت من أجل أن تنير دربي أمي غاليتي وقرة عيني رقية.

إلى أول رجل في حياتي وسندي في الحياة ، إلى من منحني الثقة أبي إبراهيم.

إلى أخواتي:ربيعة ، صفية وزوجها عيسى ، سعاد وزوجها صالح ، جهيدة وزوجها عبد القادر ، أمينة وزوجها ياسين وإلى أبنائهم الكتاكيت الصغار.

إلى إخوتي : محمد ،المحجوب،مصطفى ، سفيان ، عبد القادر وزوجاتهم

إلى عائلتي الثانية أمي فاطمة،وأبي أحمد ،أختي أميمة وأخي يزيد وزوجي رضا الذي كان سندا لي في إنجاز هذا العمل .

إلى صديقتي وأختي ومن رافقتني طيلة المشوار الدراسي مروة

إلى أختي سارة التي شاركتني في إنجاز هذا العمل

وإلى الأستاذة التي أشرفت على التربص السيدة قاسي بشيرة وكذلك لأستاذتي في المتوسط مزعاد سليمة وإلى مدير المتوسطة علون سالم

إلى من مد لي يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة خففت عني العناء

إلى كل طلبة قسم التاريخ دفعة 2021-2022.



إهداء رانية

المقدمة

اهتم المستشرقون الأوربيون بتدوين ملاحظاتهم عند زيارتهم للبلدان العربية، خاصة الرحالة الفرنسيون منهم والذين اختلفت أهدافهم من هذه الرحلات الموجهة إلى أراضي الدولة العثمانية ،وبما أن مصر ولاية عثمانية فقد توافد عليها الكثير من الرحالة الفرنسيين خاصة في القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي ، فكانت وجهتهم إلى مصر ليست من العدم فأخذوا هؤلاء الرحالة يروجون للاستيلاء فرنسا على مصر وكانت تدفعهم إلى ذلك عدة أسباب دينية وإستراتيجية واقتصادية فضلا عن الأطماع التوسعية على حساب المسلمين ، موضحين في كتاباتهم ومن خلال موصفوه إلى انتهاز فرصة الاضطرابات التي حلت بالبلاد آنذاك من جفاف وفقر ومجاعة وأمراض وأوبئة والتي أثرت بالسلب على المجتمع المصري كما استطاعوا نقل دراسة مفصلة عن عقلية المصريين وتحديد كل نقاط ضعفهم الأمر الذي يسهل على فرنسا التوغل في البلاد والسيطرة على الأرض والشعب في آن واحد.

وقد وقع اختيارنا على الموضوع العنوان اللافت للانتباه وقلة تداوله ، فقد كثر الحديث والاهتمام في هذه الفترة بالمجال الاقتصادي وكذا الموضوع البالغ الأهمية الحملة الفرنسية على مصر لكن الجذور الأساسية لهذه الحملة هو ماسنتطرق له في بحثنا هذا من خلال ماكتبه الرحالة الفرنسيون عن مصر والجواسيس الذين ساهموا في هذا، كما أن المعلومات التي قدمها الرحالة الفرنسيون في المجال الاجتماعي تفك الكثير من الغموض حول عادات لازالت متجذرة في المجتمع المصري إلى يومنا هذا.

تبرز أهمية الموضوع في:

- ✓ . بيان الأسباب والدوافع التي أدت بالرحالة الفرنسيين لكتابة التاريخ المصري
- ✓ وبيان أهمية كتاباتهم الرحالة الفرنسيين التي تقدم وصفا مفصلا عن المجتمع المصري وكيف إستطاعوا من خلال كتاباتهم الترويج للحملة الفرنسية.
- ✓ وكذا إبراز الضعف الذي حل بمصر والتدهور الذي حل بالمجتمع في شتى المجالات والمشاكل المعتقدات التي أثرت بالسلب على الفرد المصري.

وبالتالي نحاول الإجابة في بحثنا هذا طرح الإشكالية التالية:

كيف ساهم الرحالة الفرنسيون في سرد الأوضاع الاجتماعية في مصر خلال القرن الثامن عشر ميلادي؟

وأما فيما يخص الدراسات التي سبقتنا حول الموضوع فإن وجدت لم يساعفنا الحظ في الوصول إليها ، بإستثناء **كتاب الدكتورة إلهام محمد على ذهني** ، الذي إستطعنا الإعتماد عليه ولو بشكل محدود خلال دراستنا للموضوع , متتبعين في ذلك المنهج التاريخي الوصفي في أوضاع وحالة السكان والمنهج التحليلي لإستخراج الأسباب والدوافع التي جعلت الرحالة يحدد وجهة نظر معينة ، ومعرفة نقاط القوة والضعف في هذه الفترة.

وفيما يخص تقسيمنا للموضوع فقد قسمناه إلى مقدمة و مدخل وثلاث مباحث وخاتمة، ففي المدخل حاولنا تقديم تعريف مختصر للمصريين ونشأة دولتهم ولمحة عن الموقع الجغرافي للبلد .

وبعد التعريف بالمنطقة التي سندرسها تطرقنا في المبحث الأول عن دور الرحالة في تدوين أوضاع المجتمع المصري وقد قمنا في بداية البحث بتحديد طبقات المجتمع المصري وماذا تمثل كل طبقة في المجتمع،بالإضافة إلى العادات والتقاليد السائدة آنذاك من خلال ماكتبه الرحالة الفرنسيين والذين أبرزوا وجهة نظرهم من تلك الاحتفالات والعوائد التي كانت تبدوا لهم غريبة، بالإضافة إلى ذلك تطرقنا للحياة اليومية في المجتمع المصري والتي قدم فيها الرحالة وصفا دقيقا في شتى النشاطات التي كان يمارسها المصريون وكذا المشاكل والأمراض التي كانوا يعانون منها.

أما المبحث الثاني فيعالج أوضاع المجتمع المصري أي الواقع السياسي والإقتصادي و الإجتماعي و الثقافي من خلال ما دونه الرحالة الفرنسيين للترويج للحملة الفرنسية وعن وصفهم الدقيق من ضعف و قوة للبلد في تلك الفترة، إضافة على ذلك تحدثنا عن الحملة الفرنسية على مصر وكيف أثرت في المجتمع المصري.

أما بالنسبة إلى المبحث الثالث فقد خصصناه بالحديث عن العمارة من خلال ما شاهده الرحالة الفرنسيين من منشأت العامة و أزقة و شوارع و مدن في مصر , وكذا الأوقاف في تلك الفترة وكيف أثرت في المجتمع المصري ونمط عيشه وكيف حسنت أوضاعه .

وأنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت إجابة عن الإشكالية و جاءت على شكل أهم النقاط للموضوع وجملة من النتائج التحليلة التي استطعنا التوصل إليها.

ومن أجل إعداد هذا العمل واستقصاء حقائق تلك المرحلة اعتمدنا على العديد من المصادر نذكر منها:

- عبد الرحمان الجبرتي ، عجائب الأخبار في التراجم والأخبار ، بيروت ، اعتمدنا على الجزء الثاني ، بيروت
- فولني،ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام ، نقله إلى العربية ادوارد البستاني ، 1949م.

وقد اعتمدنا على هذا المصدر للإحتوائه على معلومات قيمة ومفصلة على المجاعة والوباء فقد استطاع فولني وفي فترة وجيزة أن ينقل العديد من المعلومات .

Sonnini ,voyage dans la hauteet basse egypte,aparis ,1793 .

اعتمدنا على سنوني أيضا في الحديث عن الأمراض والأوبئة كما قدم أيضا وصفا للعمران.

وأما فيما يخص المراجع اعتمدنا على كل من:

- إلهام محمد على ذهني، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين.
- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، فصول من تاريخ مصر الاقتصاديوالاجتماعي في العصر العثماني .
- جمال كمال محمود، الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني.

أما فيما يخص ماصادفنا من الصعوبات فيمكن إجمالها في قصر الوقت المحدد لانجاز هذه الدراسة، وقلة المصادر المتخصصة في الموضوع ، وصعوبة استخراج المعلومات الخاصة به من المصادر العامة والمتوفرة لدينا لأن معظمها جاءت باللغة الفرنسية غير متوفرة و القليل منها الذي جاء مترجما.

الفصل التمهيدي

المبحث التمهيدي: معطيات عامة حول مصر

1- الموقع:

تقع جمهورية مصر العربية في الزاوية الشمالية الشرقية من قارة افريقيا وتبلغ مساحتها 385.229 ميلا مربعا أي 997.738.5 كيلو مترا مربعا , يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب السودان ومن الغرب ليبيا ومنالشرق البحر الأحمر وخليج العقبة * وفلسطين .

توطئة :

2- التسمية :

عرفت مصر عبر العصور بمجموعة من المسميات عبرت عن طبيعة أرضها وعن وضعها الجغرافي , و يمكن تقسيم هذه المسميات إلى ثلاث مجموعات .

- **المجموعة الأولى :** فهي تلك التي أطلقها عليها المصري القديم منذ أقدم العصور اسم"كمث" وتعني الأرض السوداء أو الأرض الخصبة إشارة إلى وادي النيل والذي كان المصري يزرع فيه منذ أن عرف الزراعة وكذلك اسم " دشرت " أي الأرض الحمراء أو الأرض الصحراوية وأسماها "" تاوي" أي الأرضين إشارة إلى الاقليمين الرئيسيين في مصر (جنوب مصر وشمالها) أي الصعيد والدلتا .
- **المجموعة الثانية :** وعرفت في زمن لاحق للمجموعة الأولى وغالبا في الدولة الحديثة[1] أطلق عليها الإغريق وقدماء المصريين اسم حت-كا-بتاح وتعني مكان الإله بتاح ذاته في عهد دولة مصر القديمة , بالإضافة إلى اسم آخر إجيبتوس والتي تعني قبطي وأصلها لفظ يوناني [2] ومن النطق اليوناني للاسم إيجوبتس اشتقت اللغات الأوروبية الحديثة الكلمة الدالة على مصر مثل (Egypt) وبالإتجليزية (Egyptqin) .
- **المجموعة الثالثة:** فيقف على رأسها اسم مصر الذي تعرف به حتى يومنا هذاء ذلك الإسم الذي ورد في القران الكريم وفي التوراة> فكلمة مصر تعني قطر وعندما فتح المسلمون مصر وجد العرب صعوبة في نطق إيجوبتي و التي تشير إلى المواطن المصري فنطقوها إيقوبطي و قبط للمواطن المصري المسيحي أو االمسلم . [3]

---

* **خليج العقبة :** خليج عربي يقع شمال شرقي البحر الأحمر بين الساحل الشرقي المملكة العربية السعودية و الساحل العربي شبه جزيرة سيناء , أما الدول المشرفة على هذا الخليج فهي المملكة الأردنية الهاشمية و جمهورية مصر العربية و المملكة السعودية , ينظر : عبد الوهاب الكيالي , المرجع السابق , ج2 , ص 226 .

[1] هدى محمد عباس القطب , **أسماء عواصم مصر عبر العصور** , الشبكة القومية للمعلومات الإحصائية , القاهرة 2011 , ص 8 .

[2] رانيا الهاشم , **قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم** , ج (18-17) , 1988 , ص 27 .

[3] هدى محمد , المرجع السابق , ص 2 .

ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وردت في اللغات الأشورية والبابلية والفينيقية والعربية والعبرية مسميات مصر على النجو التالي مشر , مصر , مصور, مصرو , ممصرايم ..

يرجع أصل تسمية مصر إلى مصر بن حام بن نواح عليه السلام , فحكى القضاعي عن تميمة: أن أول من سكن مصر هو مصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام وأولاده أربعة وهم فاروق, ماح , وياح, ومصر هذا الأخير الذي كان مع نوح عليه السلام في سفينة والذي دعا لمصر هذا أن يسكنه الله الأرض المقدسة الطيبة المباركة فنزل بها وبذلك سميت مصر .[1]

أما أصل المصريين الشعب المصري مزيج من أصول عدة قدمت من بلاد النوبة جنوبا ليبيا غرياء الفئات السامية شرقا والحامية شمالا اختلطت هذه الأصول في وادي النيل وألفت الشعب المصري [2].

3- الموقع الجيوسياسي (الإستراتيجي) :

تحتل تحتل أرض الكنانة منذ أقدم العصور موقعا فريدا في الشمال الشرقي للقارة الإفريقية وفي الطرف الشمالي لوادي النيل وهي في الموقع الجغرافي جعلها دولة من الدول التي تتمتع بكونها همزة الوصل بين عالمين أحدهما أسيوي والآخر إفريقي , ولا سيما وأن المنطقة سهلة أمام التحركات البشرية لا يقف فيها أي حاجز أو حائل يحول دون الربط والوصل بين العالمين.

كما تشرف مصر على بحرين الأول هو البحر المتوسط الذي يوجد في قلب العالم القديم وينتهي إلى المحيط الأطلسي غربا وما وراءه من مياه معتدلة باردة , والثاني بالبحر الأحمر الذي شهد نشاطا تجاريا مستمرا منذ عصور ماقبل التاريخ حتى يومنا هذا والذي ينتهي إلى المحيط الهندي ودول أسيا الموسمية. [3]

فوقوعها في أضيق بقعة بين البحرين المتوسط والأحمر جعلاها محطة مهمة لتجارة الشرق والغرب , ولم تفقد مصر أهميتها باعتبارها معبرا لتلك التجارة إلا بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة 1798 وتحول التجارة إلى طريق البحري حول افريقيا .[4]

4- المناخ والتضاريس :

---

[1] ابن الظهيرة , **الفضائل الباهرة في محاسن مصر و القاهرة** , دار الكتب , 1969 , ص 6 .

[2] رانيا الهاشم , المرجع السابق , ص 27 .

[3] يسرى الجوهري , **جغرافية مصر السياسية** , مطبعة الإشعاع الني , مصر , 1998 , ص 63 .

[4] عمر عبد العزيز , **تاريخ المشرق العربي (1516/ 1966)** , دار النهضة العربية , بيروت , لبنان , 1984 , ص 221 .

- **التضاريس:** تتميز جمهورية مصر العربية بسهل صحراوي واسع تمتد عليه بعض المنخفضات كمنخفض سيوا و القطارة أما المناطق الجبلية فتتواجد على أطراف البلاد منها : جبل تاتريتا (والذي يبلغ إرتفاعه 2637م) جنوبي سيناء هضبة الجلف الكبير وجبل العوينات في أقصى الجنوب الغربي تتألف مساحة مصر الكبيرة من صحراء واسعة يجتازها نهر النيل في الوسط , و تشهد دلتا النيل ووادیه كثافة سكانية عالية (مايقارب 1200 نسمة / كلم المربع) , فيما تغطيان أقل من 5% من االأراضي المصرية [1] .
- **المناخ :** يسيطر على الساحل المصري مناخ حار ورطب فيما تسجل درجات الحرارة تغيرات بسيطة فتكون في شهر نوفمبر 13.4درجة مئوية في أوت 26درجة مئوية , في القاهرة تتراوح درجات الحرارة في الشتاء مابين 12 و 20 وفي الصيف ما بين 32 »35 من جهة أخرى يسود الجفاف في الدلتا ومصر الوسطى حيث تجاوز الحرارة ال 41 درجة فيما سجل في الشتاء 7.5درجة , ويحمتل حدوث جليد وفي الأقصر وأسوان تسجل الحرارة معدل 23" في الشتاء و40" في الصيف[2] .

[1] رانيا الهاشم , المرجع السابق , ص 5 .
[2] نفسه , ص 9 .

المبحث الأول: دور الرحالة الفرنسيين في تدوين أوضاع المجتمع المصري في القرن 18م

المبحث الأول:دور الرحالة الفرنسيين في تدوين أوضاع المجتمع المصري في القرن 18م

تنوعت الرحلات الأوروبية فمنهم من توجه إلى المشرق بدافع العاطفة الدينية لزيارة الأماكن المقدسة ولنشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي ومنهم من كان يسعى وار المغامرة والربح الوفير، وقد كثر عدد السفراء والدبلوماسيين والمفكرين والمستشرقين الذين كثر عددهم انطلاقا من القرن السابع عشر ميلادي نتيجة عودة العلاقات الفرنسية العثمانية إلى سابق عهدها، ويوجد الرحالة الجواسيس الذين دخلوا الدولة العثمانية فقط من أجل دراسة نقاط ضعف وقوة ولايتها لاسيما وأن التنافس الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا وروسيا وصل ذروته مع مطلع القرن الثامن عشر ميلادي ويعتبر هذا القرن قرن الجواسيس بلا منازع الذين أفادت كتاباتهم ومذكراتهم مصالح دولهم في احتلال الولايات العربية مع نهاية القرن الثامن عشر مطلع القرن التاسع عشر ميلادي[1] وقد توافد على مصر خلال هذه الفترة العديد من الرحالة الفرنسيين الذين كتبوا عن مصر والمصريين وقدموا تقريرا مفصلا ودراسة شاملة للمجتمع المصري بأدق التفاصيل وقد تميز رحالة هذا القرن عن غيرهم في أن زياراتهم لمصر لم تقتصر على زيارة المزارات المسيحية فقط وإنما جابوا مدن مصر وتوغلوا في صعيد وصحاري مصر ولم تكن زيارتهم قصيرة وسريعة وإنما مكث البعض منهم عدة سنوات فجاءت كتاباتهم عن مصر أعمق بكثير ممن سبقوهم حيث ساهمت كتاباتهم في مجيء الحملة الفرنسية على مصر فقد حثوا حكومة بلادهم على ضرورة الاستيلاء على مصر للحصول على ثرواتها الاقتصادية والإفادة من موقعها الجغرافي الهام وإحياء فكرة وصل البحرين الأحمر والأبيض المتوسط لتعم الفائدة الاقتصادية والتجارية على فرنسا فقاموا بتدوين رحلاتهم والتي من خلالها نستطيع دراسة الوضع الاجتماعي لمصر خلال القرن الثامن عشر ميلادي [2]

[1] خيرة الطار،**الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية (فولني نموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الدولة العثمانيةوالمشرق العربي ، جامعة الجزائر.2. السنة الجامعية 2013/2012م ، ص 20 .

[2] إلهام محمد ، **على ذهني، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992 ص ص : 8 ، 9 .

المطلب الأول: طبقات المجتمع المصري

يعتبر المجتمع المصري مزيجا من الأجناس المختلفة حيث تعاقبت عليه العديد من الشعوب ولكنها امتزجت بالسكان الأصليين فأصبحت شعبا متجانسا ، أما عن تعداد سكان مصر فقد أكد معظم الرحالة أن مصر بلاد مؤهلة بالسكان وأن ثرواتها الحقيقية تكمن في عدد سكانها [1] وقد قدر علماء الحملة الفرنسية سكان مصر ب2.5مليون نسمة[2]

- **طبقة الأتراك:** تعتبر في قمة الهرم الاجتماعي وهي الطبقة الحاكمة على رأسها الباشا [3] وقد عقد فولني مقارنة بين الأتراك والعرب فأنصف العرب لأنهم كانوا أكثر توفيقا في نشر دينهم.

طبقة المماليك : شكل المماليك طبقة مميزة في مصر حيث كانوا يمثلون الأقليات التي كانت تعيش في المدن الكبرى لكن تركزت السلطة المدنية والعسكرية في أيديهم وكان البك الأول يتولى وظيفة شيخ البلد [4] وله نفوذ واسع فصارت مشيخة البلد بمثابة إمارة مصر، أما المنصب الثاني فهو منصب أمير الحج [5]والشخصية الثالثة في الحكومة هو الدفتر دار[6] وبعد هذه المناصب العليا يأتي البكوات حكام الأقاليم،كما عرفت مصر أجناسا كثيرة من المماليك منهم :اليوناني والجركسي والتركي والأرناؤودي والنمساوي والمجري والكرواتي[7] أما عن أعداد المماليك في مصر في القرن الثامن عشر ميلادي فقد اختلفت فيها الأراء وإن كانت تلك الاختلافات طفيفة فيما بينها وقد قدر الرحالة فولني عدد البكوات المماليك في عام 1757م بأربعة وعشرين[8]

---

[1] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق، ص267.

[2] علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر(المصريون المحدثون)**،تر:زهير الشايب ،الجزء الأول ،صندوق التنمية الثقافية ط3،ص95.

[3] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص 269 .

[4] **شيخ البلد** :كبير أمراء المماليك وهو منصب أستحدث في القرن الثامن عشر وكان شيخ البلد الشخص الثاني في الأهمية بعد الوالي . أنظر: عمر عبد العزيز عمر ، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاص(1902.1517)**، دار المعرفة الجماعية ،1992 ص 153.152 .

[5] **أمير الحج**: هو البك المختص بالأشراف على على مقر الحجاج والعودة بهم وتأمين طريقهم وأرواحهم وأموالهم ، أنظر: ليلى عبد اللطيف، **الإدارة في مصر في العصر العثماني** ، مطبعة جامعة عين الشمس ، 1978م ، ص 439 . 449 .

[6] **الدفتردار**: هو الشخص المسؤول عن الديوان الذي له الإشراف العام على مالية مصر،أنظر: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، **عجائب الأثار في التراجم والأخبار**،تح:عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003م،ص41 ، هامش1.

[7] مرفت أسعد عطاء الله، **الحياة الإجتماعية لبكوات المماليك في مصر في القرن الثامن عشر**، السنة الحادية عشر،جمادى الأخرة .رمضان1429م،العددان الثاني والثالث والأربعون جوان سبتمبر2008م ، ص363.

[8] فولني ، المصدر السابق،ص82 .

وقد قدر عدد المقاتلة من المماليك عند مجيء الحملة الفرنسية1798م بين تسعة وعشرة الآلاف [1] .

- **العلماء:** مثل العلماء الطبقة الوسطى من المجتمع المصري [2]كما أشار إلى وضيفة مفتى المذاهب الأربعة مؤكدين أن مشايخ الأزهر كان لهم نفوذ كبير على المصريين كما تحدث الرحالة عن الأشراف موضحين نفوذهم في القاهرة وحرص السلطات على أن يشاركوهم في كافة الاحتفالات الدينية [3]، كما تميز علماء الأزهر بمكانة مميزة اجتماعيا فقد كان الأزهر يعتبر مركز التعليم الإسلامي بمذاهبه المختلفة وكانت أروقته تضم طلابا من مختلف العالم الإسلامي وكانت السلطات العثمانية والمملوكية تعترف لرجال الأزهر بمكانتهم وتعتبرهم زعامة شعبية وقد أدرك عامة الناس والتجار الحرفيون هذه المكانة وتلك الزعامة فكانوا يلجئون إلى الأزهر، كلما اشتد بهم الحال وزاد الكرب اجتمع أهل الأسواق ودخلوا الجامع الأزهر وشكوا أمرهم إلى العلماء،واستمرت معاونة العلماء للعامة واستعمال نفوذهم طوال فترة القرن الثامن عشر ميلادي[4].
- **الفلاحون:** لقد استطاع الرحالة الفرنسي فولني تقسيم طبقات مجتمع الشرق الأوسط إلى خمس طبقات يمكن تبويبها في فئتين وهما الشعب الذي يشمل الفلاحين والحرفيين والتجار ورجال الحكم [5]ويعتبر الفلاحون السكان الأصليون لمصر يعيشون في بؤس وشقاء تنتشر فيهم الأوبئة والمجاعات يعاملون معاملة سيئة فإذا أراد شخص تحقير شخص آخر يطلق عليه لفظ فلاح[6] وكما وصف لنا فولني من خلال رحلته إلى مصر أن الفلاح كان لاينعم بثمرة جهده فنراه منصرفا إلى العمل كارها [7] حيث عانى الفلاحون في ضل نظام الإلزام المالي [8] فقد فرضت ضرائب على الفلاحين وما يحصدونه من حبوب تذهب إلى موائد أسيادهم والواقع أن ماذكره الرحالة الفرنسيون عن المغارم الجبرية والضرائب التي فرضت على الفلاحين صحيحة فقد تزايدت في

---

[1] عبد الرحمان الرافعي ، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر** ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ،1987م، ص59 .

[2] بيتر جيران ،**الجذور الإسلامية للرأس مالية(1760/1840م)**،تر:محروس سليمان، مراجعة رؤوف عباس، دار الفكر للدراسات والنشروالتوزيع ص50.

[3] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق، ص274.

[4] عبد الرحمان عبد الرحيم ، **فصول من تاريخ مصر الإقتصادي والإجتماعي في العصر العثماني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990م ، ص 208

[5] هنري لورانس، **الأصول الفكرية للحملة الفرنسية على مصر الإستشراق المتأسلم في فرنسا (1698.1798)**، تر: بشير السباعي، دار شرقايات للنشر والتوزيع ص119 .

[6] إلهام محمد على ذهني،المرجع السابق، ص274 .

[7] فولني ، المصدر السابق،ص125 .

[8] جمال كمال محمود ، **الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2010 ، ص 176.

السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ميلادي [1] كما أعطى نظام الالتزام للفلاح الحق في الاستمرار في زراعة أرضه وكان من أهم الحقوق التي كفلها هذا النضام ، أما إن امتنع عن زراعتها فمن حق الملتزم أن يأخذ منه الأرض كما كان باستطاعة الفلاح اختيار المحصول الذي يريد زرعه كما بإمكانه توريث الأرض إلى الملتزم ويضع فيها مايشاء من الفلاحين كانت هذه أهم الحقوق التي حضي بها الفلاح

في ضل نظام الالتزام والتي كبل فيها بالعديد من الضرائب، كما قد رفضت عريضة طلبات الإعفاء في عام 1791 بسبب الجفاف كما كان الفلاح عرضة لظلم جباة الضرائب وتعذيبهم إن قصر في إرضائهم[2]

- **أهل الذمة:** بالنسبة للمسيحيين فقد تعددت طوائفهم في مصر كما ذكر علماء الحملة الفرنسية فمنهم الأرولم والأرمن والمارونيون والأقباط وتعتبر هذه الأخيرة أكثر الطوائف المصرية إثارة للاهتمام فهم يعتبرون أنفسهم أحفادا للمصريين القدماء ومهارة شعبهم هي مصدر حياتهم فقد استطاعوا تحت حكم الأتراك أن يحتفظوا بجزء من العمل الإداري لم يخرج مطلقا عن أيديهم منذ العصور البالغة القدم وهو مسلك سجلات الضرائب والدخول والملكيات أي أنهم باختصار الملمون بمساحة مصر فقد كانوا يقومون بعمليات تقسيم التركات العقارية وهم كتبة مصر الحقيقيون وقد أنهمك عامتهم في ممارسة فنون الصناعة[3] وقد وصفهم الرحالة بالتعصب الشديد كما أنهم فروا إلى الجبال هربا من اضطهاد الرومان لهم هذا ماأدى إلى حفظ تاريخ الكنيسة القبطية[4]
- **اليهود:** تركزت إقامة اليهود في مدن مصر الهامة مثل القاهرة والإسكندرية وقد قدم الرحالة سونوني وصفا عاما عنهم حيث لاحظ أنهم يتحدثون بصوت منخفض ولليهود رئيس ديني هو الحاخام الذي يقدس ويحفظ قوانين اليهود ولهم معابد في القاهرة يمارسون فيها شعائرهم الدينية[5]، وكان اليهود والنصارى يمثلون شريحة هامة في المجتمع القاهري ، وقد ركز اليهود في نشاطاتهم على أعمال التجارة خاصة بيع المجوهرات [6]وصناعة الذهب والفضة بالإضافة إلى أعمال مالية أخرى كامتلاكهم لمصانع المنسوجات الخفيفة ، وفي عام 1727م

[1] هاملتون جب ، **المجتمع الإسلامي والغرب**، القاهرة،1989م،ص128.

[2] جمال كمال محمود، المرجع السابق ، ص176 178 .

[3] علماء الحملة الفرنسية، المرجع السابق ، ص 28 30 .

[4] إلهام محمد على ذهني، المرجع السابق، ص279 .

[5] نفسه،ص 282.

[6] جمال كمال محمود،المرجع السابق، ص301 .

افتتحت اليهود شركة للتجارة مع المسيحيين القادمين من أوروبا[1] كما عرف اليهود في معاملاتهم التجارية والمالية بالغش حيث أن معظم حالات الغش كانت وراء الصيارفة اليهود[2]

- **الأجانب:** كان يوجد في مصر وخاصة في المدن الكبرى مثل الإسكندرية والقاهرة الكثير من الأجانب من التجار والقناصل ومن الطبيعي أن يهتم الرحالة الفرنسيون بأحوال الجالية الفرنسية حيث دونوا عنهم وكتبوا بإسهاب شديد ففي مدينة القاهرة كان يوجد فئة من التجار والقناصل ، حيث كانت معاملاتهم مع فئات المجتمع القاهري في مجال التصدير والاستيراد[3]، كما تواجد في وسط المجتمع المصري الكثير من المغاربة والذين تمتعوا بمكانة مرموقة في وسط المجتمع المصري في العهد العثماني نظرا لانشغالهم بالتجارة والحرف المهنية وتقلدهم لوظائف مهمة في الدولة والقضاء وكذا انتمائهم إلى أوجاقات [4] الحامية العسكرية ولد لهم نفوذ قوي مع السلطات المحلية وأسهم المغاربة بمساهمة فعالة في البنية الاجتماعية المصرية كما شكلت الجاليات المغاربة (التونسية الليبية الجزائرية المغربية) في القرن الثامن عشر ميلادي طائفة مهمة لعبت دورا تجاريا واسعا في مصر ، ونجد أن هؤلاء المغاربة مارسوا مختلف النشاطات التي كانت توجد بالمجتمع المصري على رأسها النشاط التجاري وبرزت عائلات تجارية عديدة[5]

[1] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق،ص283 .
[2] جمال كمال محمود، المرجع السابق ، ص 301 .
[3] جمال كمال محمود ، المرجع السابق ، ص 304 .
[4] **أوجاقات:** كلمة تركية لها عدة معان : كل ما تنفخ وتشعل فيه النار من طين أو قرميد أو حديد وأطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد ، ثم أطلق على مجتمع أرباب الحرف، كما أطلق على كذلك على الصنف من الجند كالسباهية ،وهم فرق من العساكر في الجيش الإنكشاري.أنظر: سهيل صابان ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م، ص42 .
[5] عائشة بابه ، **الأسر التجارية المغاربة بمصر في القرن 12هـ ،18م** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخص العلاقات بين المشرق والمغرب ، السنة الجامعية 2010 . 2011م .

المطلب الثاني: العادات والتقاليد

تميز المجتمع العربي عامة بالعديد من العادات والتقاليد ومع موجة الرحلات الأوروبية نحو البلاد العربية تعددت كتب تصف المجتمع المصري خاصة من قبل الرحالة الفرنسيين والقرن الثامن عشر عرف بكثرة هذه الرحلات حيث قدم الرحالة الفرنسيون أيا كانت مهمتهم في البلاد المصرية وصفا دقيقا عن عادات وتقاليد هذا البلد وكيف كان الشعب المصري يقيم أعياده واحتفالاته حتى كيفية إقامة الجنائز كانت تقام بطريقة خاص .

1- الأعياد والاحتفالات:

حرص الرحالة على تسجيل الاحتفالات والأعياد التي شاهدوها مصر فسجلوا احتفلات بقدوم الباشا الجديد ومن خلال ما قدمه لنا سافارى عن الاحتفال بقدوم الباشا[1] الجديد حيث وصف كيف تم استقباله بحفاوة وكيف كانت تنصب له الخيام وتفرش له الزرابي الثمينة وأن أثرياء المماليك كانوا يقدمون الولائم .[2]

ولم يقم الرحالة الفرنسيون باكتابة الإحتفالات التي أقيمت من أجل تولية الباشا وإنما ذكروا كذالك أيضا يتم عزله ومن خلال ماجاء به سفاري أن الباشا بعد عزله يجب عليه مغادرة البلاد خلال أربعة وعشرون ساعة واذا اشتكى البكوات من الباشا فانهم يحاسبونه حسابا عسيرا ويصادرون جميع أمواله التي حصل عليها خلال توليه للمنصب [3] ومن الاحتفالات التي نقلها الرحالة لنا أيضا الاحتفال بسفر المحمل إلى الأراضي المقدسة حيث وصفوا القوافل المتجهة إلى الحجاز وطريقة تزيينها وحراستها وضرورة حضور الباشا عند خروج المحمل من القلعة بقيادة أمير الحج ، وكذلك الإحتفالات التي تقام عند عودة القافلة من الحج وكيفية تزيين بيوت الحجاج وكذالك الإحتفال بسفر الخزنة إلى الأستانة مصحوبة بالطبول والعديد من الجنود الإنكشارية، وبما أن مصر هبة النيل كما قال عنها هيرودوت فقد كان المصريون يحتفلون بفيضان النيل وكان يستمر لمدة سبعة أيام[4]

أما بالنسبة للأعياد التي كان يحتفل بها الشعب المصري فتتمثل بالإحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وليلة القدر والمولد النبوي الشريف حيث كانت تنار الأزقة والشوارع كلها بالمشاعل والأنوار [5]

---

[1] **الباشا:** كلمة باشا معناها في الأصل قدم الملك أو الشاه ثم صار معناها "مستخدما" واستعملت بعد ذلك كلقب لحاكم الولايات وأخيرا أصبحت أعلى لقب تشريعي في الدولة ،أنظر: سهيل صابان ، المرجع السابق، ص 52 .

[2] Savary , **lettre sur L'Egypte** , Paris , 1786 , 3 tomes seconde édition, p201 205.

[3] Savary , op cit ,p206 .

[4] إلهام محمد على ذهني، المرجع السابق، ص 320 321 .

[5] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص 321

(ولا يمر يوم لانرى فيه احتفلات فالمصريون مغرمون بها وهي تتركز في المدن أكثر من الريف)[1] .

وقد لاحظ الرحالة الفرنسيون إحتفال المصريون بموالد كبار المشايخ ومن خلال مانقله لنا سفاري عندما دحضر أحد هذه الموالد فشاهد مولد سيدي إبراهيم ووصف كيف سار الناس في موكب يتقدمه علماء الدين وفي المساء طرق غريبة للإحتفال فقد كانوا يقدمون عروضا بالثعابين ويلبفونها حول أعناقهم ومنهم من يمزق جلدها بأسنانه، [2] بالإضافة إلى الإحتفالات الدينية فهناك بعض الإحتفالات القديمة العريقة متوارثة منذ القدم كالإحتفال بيوم النسيم حيث يأكل فيه الناس البصل والسمك والملح والخضروات [3]

2- الزواج:

اختلفت عادات الزواج في المجتمع المصري على عادات الزواج في المجتمع الأوروبي وهذا الأمر الذي لاحظه الفرنسيون خلال رحلاتهم وهذا ما إهتم به الرحلة الفرنسي ميليه حيث قام بمقارنة بين المجتمعين الغربي والعربي فقال ان في المجتمع الأوروبي يمر الزواج بمرحلة أولى ألا وهي التعارف ثم يأتي بعدها الإرتباط الدائم وعدم الطلاق وأهم شرط هو المساوات بين الطرفين ، بينما في المجتمع المصري لايمكن للزوجان التعرف على بعضهما قبل الزواج ولا يوجد إرتباط دائم بحيث يمكنهم الإنفصال [4] ولا يوجد تفاهم بينهما ي فالعرب لايتزوجون إلا من نفس قبيلتهم حيث كان المصريون يطلقون مثلا بينهم مثل :(زيتنا في دقيقنا) عند زواج شخص من إحدى قريباته [5] ،كما كان الزوج يشترط على زوجته عدم مطالبته ببقية مؤخر الصداق طالما أنها على عصمته وأن الزوجة تشترط على زوجها بأنه في حالة تزوجه من أخرى تصبح طالقا وهذا يعني أن هذا الزواج مشوب بالشك بين الزوجين فكأن كل منهما يشترط على الأخر شروطا والمفروض أن الحياة الزوجية تبنى على الثقة المتبادلة بين الطرفين [6] .

---

[1] Maillet **, description de l'Egypte** , Labbe le mascrier composée sur les mémoires de M.Maillet ancien consul de France au caire , paris , 1735 , P 106 .

[2] Savary , Op cit , P 62 63.

[3] Maillet , op cit , p110 .

[4] Maillet , op cit , P 81 .

[5] جون لويس بوكهارت ، **العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد على** ، تر: إبراهيم أحمد شعلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط3 ، ص142.

[6] صلاح أحمد هريدي ،**الجاليات الأوروبيات في الإسكندرية في العصر العثماني** ، دراسة وثائقية من سجلات المحاكم الشرعية (923 . 1213هـ/1517 . 1798م) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1979م ، ص 65.

كما كتب الرحالة الفرنسي سفاري عن حرية المسلم في تعدد الزوجات بحيث يسمح للمسلم أن يتزوج بأربع نساء كما يمكنه أن يطلق زوجته وفي حالة إلقائه لقسم الطلاق ثلاث مرات فيفارقها نهائيا دون رجعة في قراره حتى إذا تزوجت مرة ثانية وتطلقت في هذه الحالة يتمكن من إرجاعها[1] ،ومن شروط الزواج التي لفتت إنتباه الرحالة المهر حيث يدفع الزوج هدايا وأساور من الذهب وفي نظر ميليه هي رمز للعبودية لأنها تمثل القيود التي تحبس المرأة المصرية [2] ولم يشهد الزواج في القرن الثامن عشر ميلادي بين المسلمين فقط فأحيانا كان بعض الأفراد من المماليك الذين يتولون بعض الوضائف الهامة من بعض الجاريات الجورجيات المسلمات بعد أن اعتنقت الإسلام لوجه الله تعالى ويتزوجها بعد ذلك بمقدم صداق كبير جدا[3] .

3- الإحتفال بالزواج:

كما كتب الرحالة الفرنسي سفاري في ذلك العديد من المعلومات حيث تضع العروس الحناء وتذهب إلى الجمام أربع أيام متتالية في وسط موكب وأغاني وعند حلول موعد الزفاف يتجمع الرجال ويقضون الليل في شرب القهوة ولنا في المطلب الموالي حديثا مفصلا عن عادة الحمام وشرب القهوة عند المجتمع المصري[4] كما ذكرالرحالة الفرنسي ميليه بعض من إحتفالات الزواج لدى الجاليات الأجنبية خاصة لدى الأرمن إذ كان لديهم تقليد غريب إذ يمكث العريس خمسة أيام لايرى العروس وفي يوم الزفاف يقام حفل كبير في كنيسة الخان ليلا حيث يصع الإشبين القماش على أيدي العروسين ويتم لبس خاتم الزواج في إصبع كل على حدة ثم يسير العروسان حتى يصلا إلى مقعد القس فيجري مراسم الزفاف واضعا إكليلا من الورد على رأس العروسين ثم يحظر القس قدحا من النبيذ ثم يقذفون بالقدح نحو الحائط ثم يسير القس وبصحبته العروسان حول المقاعد في الكنيسة ثم ينزع الإكليل وتقام الصلوات [5]، كانت أفضل الأوقات للزواج في مصر المنحصرة بين فيضان النيل وشهر رمضان ، وكلما إقترب يوم عقد القران تزايد الإهتمام من قبل أهل العريس الذين يكلفون بإعداد الذبائح للولائم ، ويتم الإحتفال بعقد النكاح في منزل الأسرتين فيدعى الرجال إلى منزل والد الزوج وفي يوم الزفاف اليوم الموعود يأتي الأب أو صديق له ليأخذها من بيتها وتسير العروس تحت هودج وتغطى طيلة الطريق بقناع لايكشف شيئا من ملامحها ولا يكون

[1] Savary , op ,cit ,8 p.45.
[2] Meillet , op, cit, p.87.
[3] صلاح أحمد هريدي علي ، المرجع السابق ، ص 65.
[4] Savary , op , cit , pp,45-51.
[5] Mailliet ,op, cit, p.84.

الزوج بين المدعوين بل يذهب للجامع للصلاة ثم يأتي في موكب بالموسيقى مع أصحابه وعند عودته إلى البيت تقدم له القهوة والشربات ليذهب بعدها إلى حجرة العروسة [1] .

شروط الزواج لدى أهل الذمة : يوجد شرط النفقة موجودا في عقود زواج أهل الذمة وكذلك نجد شرط أن لايتركها مدة معينة بدون نفقة أو أن يضربها ضربا تظهر آثار ره على جسدها هذا بالنسبة للأقباط أما عن اليهود فنجد أن عقود الزواج الخاصة بهم كانت تتضمن عددا من الإلتزامات ، أهمها إلتزام الزوج بعدم الإقتران بمرأة أخرى ، وكذلك إلتزام الزوج بالإنفاف على زوجته.[2]

4- الختان:

الختان ضروري عند المسلمين عامة فهو من سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والختان في مصر تحديدا أمر ضروري حيث يتم للذكور فور ولادتهم وكانت حتى الأقباط يقومون بختان أبنائهم وقد قال الرحالة الفرنسيون ماقالوه في هذا هذه الضاهرة بانسبة لهم لأنها كانت شيئا جديدا في أعينهم وفي ذلك قال سونيني (من أجل حرارة الطقس بين شعب قليل الإعتناء بنظافته) , حيث رأى من منظور دينه بأن الختان قلة نظافة , في حين أن ديننا أن الختان طهارة , وقد تحدث هذا الأخير عن ظاهرة ختان الفتيات في مصر وفي منطقة الصعيد بصفة خاصة حيث يوجد بكثرة نساء متمرسات في هذه المهنة حيث يجوبون الشوارع وينادون بمهنتهم لمن يريد ختان بناته [3].

5- الإحتفال بالختان:

حضر القنصل مليه عام 1696م حفل ختان إبراهيم بك إبن إسماعيل بك وكان عمره خمسة عشر عاما فوصف حفل الختان حيث أجريت فيه مسابقات للخيل والحيوانات ، وإرتدى إ براهيم بك كسوة مع غطاء للرأس به ورود وبدل الصبي ملابسه أربع مرات وقد تم ختان عدد كبير من العبيد في هذا الحفل [4] ويحرص المصريون في أعيادهم وإحتفالاتهم على تقديم الطعام وإقامة الولائم ومن عاداتهم فرش الموائد على الأرض على مفرشة الجلد الأحمر [5] .

6- دفن الموتى وتشييع الجنائز:

[1] محمد سيد محمود حسين ، **الزواج في مصر العثمانية** ، **مكتبة** الإسكندرية ،مصر 2017، ص 73 74 .

[2] سيدد محمود حسين، المرجع السابق، ص 71.

[3] SONONI , **C.voyage en Égypte Paris 1793 3 tomes** , PP 35-39 .

[4] MAILLET , op , cit , P, 73 .

[5] Fourmont , OP , CIT , P 41 .

إعتاد المصريون القدماء على تحنيط الموتى وذالك بإستعمال مواد كيمياوية والملح وعقاقير ولف الجثة بالشاش بحيث هذه العملية تمنع جسم الإنسان من التحلل وهذا من خلال الكتب والدراسات حول تاريخ مصر القديم وقد أكد مليه إقلاع المصريين عن هذه العادة حيث أصبحوا يلفون جسم الميت بالقماش ثلاث مرات ويعطر الكفن بالزهور والروائح الجميلة ونوع قماش الكفن تكون مصنوعة من القطن، وفي مصر إنتشرت ظاهرة وجود نساء مهنتهن الرئيسية البكاء على الميت وهن يصبغن وجوههن بالنيلة ويضربن صدورهن ويمسكن بالمناديل السوداء في أيديهن ويستمر صراخهن حتى انتهاء إجراءات الدفن [1] .

عند وفاة المسلم توضع رأسه في اتجاه الكعبة ، أما المسيحي فتوضع رأسه تجاه الشرق والنساء في مصر مجبورات على البكاء على أزواجهم هذا ماجاء على لسان الرحالة الفرنسي فورمون وذكر أنه لابد من زيارة المدافن ثلاث مرات أسبوعيا[2] .

وأما بالنسبة للمجرمين فقد كان يوضع المجرم في بالمحمل ويطاف ويشهر به في شوارع المدينة حيث يوضع على ظهر الجمل مع ربط ركبتيه على خشب مثل الصليب معلق بها عدد كبير من الشموع تنزل على جلودهم فتحرقها طيلة الطريق فمنهم من يموت من شدة العذاب في منتصق الطريق ومنهم من تنفذ عليه عقوبة الإعدام [3]

7- اللباس :[4]

قدم الرحالة الفرنسي فولني وصفا للباس الفلاحين حيث وصفا بالبساطة وتتكون من قميص من الخام الأسود وعلى رأسه قلنسوة من الكتان يلف حولها منديل من الصوف الأحمر ويظهر في الحقول عاري الذراعين والساقين والصدر وأغلب الفلاحين لايلبسون سراويل[5] ، كما اعاب فولني على سكان مدينة الإسكندرية لباسهم ووصف شدة طوله وانسداله من الرأس إلى القدمين مستغربا من رؤوسهم الحليقة المغطات بالعمائم الطويلة.[6]

[1] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص 325 326 .

[2] Fourmont : op cit .p .115 .

[3] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص 327.

[4] انظر الملحق رقم 2 ص 77 و الملحق رقم 3 ص 78 .

[5] فولني ، المصدر السابق ، ص125.

[6] خيرة الطار، المرجع الاسابق ، ص71.

المطلب الثالث : الحياة اليومية

تطرقنا في هذا العنوان إلى الحياة والممارسات اليومية للمجتمع المصري ومناطق تجمع السكان والنشاطات التي يمارسها الرجل المصري والمرأة المصرية ، بالإضافة إلى الصعوبات التي كان يواجهها الفرد المصري من مشاكل اقتصادية وطبيعية وحتى الصحية والأمراض التي حلت بالمجتمع المصري خلال القرن الثامن عشر ميلادي من خلال مادونه الرحالة الفرنسيون عند ذهابهم لمصر.

1- المدن الكبرى لتجمع السكان :

سنخص بالذكر مدينتي القاهرة والإسكندرية وهذه الأخيرة تظم العديد من الطوائف الحرفية [1] أما فيما يخص القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي بالتحديد في عام 1798م تظم مابين 250و260 ألف من الأشخاص بما في ذلك من المماليك والتجار الأجانب وهؤلاء الذين لايستقرون في القاهرة إلا لوقت محدد مثل أولائك الذين يمتلكون محلات في خان الخليلي والذين لايستقر معظمهم فيها ، وكذلك التجار القادمين من إزمير والقسطنطينية وبغداد وحلب وهم يصلون إلى القاهرة لبيع بضائعهم ويرحلون بعد ثلاثة أو أربعة شهور محملين ببضائع أخرى عند العودة [2] .

2- الحالة الإجتماعية للمصريين في القرن الثامن عشر ميلادي :

لقد كانت حياة صعبة في جيل وشعب أدركه وعشعش في رأسه الإضطراب ، إذكان الوالي مسلوب السلطة على الجنود فكان يرد الظلم عن الشاكين بان يطلب إليهم البعد والإختفاء عن أنظار المعتدين ، فساعد هذا القلق على ماكان شائعا بين الناس من جهل وضنك وضيق الذي أخرج صدورهم إلى التهاون في إنتشار الحشيش

[1] ناصر عبد المتجلى إبراهيم ، **الإسكندرية في العصر العثماني (الحياة الإقتصادية والإجتماعية)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص431.

[2] علماء الحملة الفرنسية ، المصدر السابق ، ص24.

والخمر والشذوذ الجنسي والسعي وراء الزنا .[1] وكما ذكر فولني كيف كان المصريون ينقلون الماء فوق الجمال والحمير [2] كما عانى سكان مصر من الكثير من المشاكل الإجتماعية التي نذكر منها مايلي :

- **إرتفاع الأسعار:** لقد تسبب ضعف الفيضان في رفع سعر القمح بحيث يعتبر أساس السلع الإستهلاكية ،[3] فهاج المتضاهرون في السناجق المتوجهون لعقد إجتماع في الديوان بالحجارة حيث قامت حركة شعبية في الرملية في سبتمبر 1723م ، والذي زاد الأمر خطورة ارتفاع الاسعار نتيجة لانخفاض العملات المصرية والمضاربات التجارية أثار الرعية من جديد 1724م فأغلقوا المحلات ونهبوا أسواق القاهرة حيث استمرت الثورة لعدة أيام [4] ، ظهرت عهدة أزمات بمصر من بينها أزمة غلاء 1706م والتي تندرج ضمن الأزمات الغذائية العقدية إلا أنها كانت أقل مأساوية مقارنة بالمجاعة الكبرى التي حدثت في القرن الماضي ، وكان الفيضان الغير الوافي هو المتسبب في حدوث الغلاء ليخرج الشحاذون والفقراء أفواجا في شوارع وأزقة القاهرة ،ولكن لحسن الحظ سرعان ماعادت الأمور لحالها [5] .
- **المجاعة:** تحدث فولني بإطناب في هذا المجال حيث قدم وصفا مفصلا عن حالة البؤس في العاصمة المصرية إبان السنوات الثلاثة الأخيرة (فقد تضافرت مع المساوئ المعتادة الناشئة عن الطغيان المتنامي وإظطرابات السنوات السابقة كوارث طبيعية أكثر تهديما فقد نفذ الهواء الأصفر من الأستانة في خريف سنة 1783م وفتك بالسكان فتكا ذريعا في فصل الشتاء حتى لقد خرجت ألف وخمسمائة جثة من أبواب القاهرة في يوم واحد وجاء الصيف فحد من شدة الوباء على مألوف نتاجه في هذه البلاد) [6]، كانت مصر تعتمد في إقتصادها على المجال الزراعي خاصة على فيضان النيل وذكر فولني أنه في سنة 1783م جاء ناقصا وبقي جزء كبير من الأراضي بورا لعدم الري ولم يزرع قسم آخر لافتقار الناس إلى البذر وذكر أنه عم القحط وحصدت المجاعة عدد كبير من سكان القاهرة وبلغت بهم شدة الجوع إلى إلتهام أقذر الأشياء

---

[1] توفيق الطويل ، **التصوف في مصر إبان العصر العثماني** ، مكتبة الآداب الجماهيرية ، ص 22 23.

[2] فولني ، المصدر السابق، ص13.

[3] أندريه ريمون،**الحرفيون والتجار في القاهرة القرن 18** ، تر: ناصر أحمد إبراهيم باتسي جمال الدين ، مر: رؤوف عباس ، ج1 ، 1،2005م ، ص 151 .

[4] أندريه ريمون، **أحياء القاهرة الشعبية في القرن الثامن عشر والحركات الجماهيرية التي قامت بها** ، مجلة الطليعة، د ع، دار المنظومة ، ص52

[5] أندريه ريمون، المرجع السابق ، ص 202 203 .

[6] فولني ، المصدر السابق، ص 126 .

[1]كماأن الشوارع أقفرت من المتسولين الذين كانو يملؤونها ولم تقتصر هذه المجاعة على سكان المدينة فقط بل أيضا سكان القرى فقد هجروا أماكن إقامتهم خوفا من الفناء وانتشرو في البلاد المجاورة وقد كان فولني شاهدا على ذلك حيث قال:(...وقد شاهدتهم في سوريا خلال سنة 1785م أفواجا وجماعات ... كان هاؤلاء التعساء يلفظون آخر أنفاسهم فيما هم مستلقون بظهورهم على منازل البكوات التي يعرفونها أنها تزخر بالحنطة والأرز وكثيرا ماكان صراخهم يزعج المماليك فيطاردونهم بأعقاب العصي)[2] .

- **الأمراض والأوبئة:** إهتم الرحالة الفرنسيون بالحديث عن الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة بكثرة في مصر والتي هلكت بسكان مصر وسنذكر كل منها على حدى من خلال ماكتبه الرحالة :

- **أمراض العيون:** علل فورمون إصابة سكان مصر بالعمى بسبب الرياح المترية القادمة من الصحراء الغربية،[3] أما فولني وبما أنه زار مصر وسوريا فإنه أكد على أن أمراض العيون لاتقتصر على مصر وحدها فهي تنتشر في سوريا أيضا أما في مصر بسبب الحرارة الممتزجة بالرطوبة كما أن هواء الدلتا به نسبة كبيرة من الملوحة أضف إلى ذلك نوعية طعام المصريين الذي يتكون من اللبن الرائب والجبن والعسل والثمار الخضراء يحدث تشويشا أسفل البطن فيتأثر البصر وكذلك كتب فولني عن ظاهرة العمى (أكثر مايدهشك في مصر من الأمراض العمى وسعة انتشاره فكثيرا ماكنت أشاهد في تجوالي بين أزقة القاهرة بين مائة شخص عشرين أعمى وعشرة عور وعشرين غيرهم من ذوي العيون الحمراء والمقيحة أو المشوبة بالبقع ويكاد يكون جميع الناس مقنعين بالعصائب وهي الدليل على أنهم مصابون بالرمد أو ناقمون منه)[4]، أما أوليفيه فأكد أن الهواء المحمل بالأملاح هو السبب في انتشار أمراض العيون في مصر خاصة الرمد وكتب تبريرا غريبا وهو أن المصريين اعتادوا النوم ليلا في الهواء الطلق خارج منازلهم فيكونون عرضة لهبوب رياح الصحراء ويكون الهواء لطيفا ليلا وفي الصباح تشتد أشعة الشمس فهذا الانتقال المفاجئ من حرارة الليل المنخفضة إلى حرارة الصباح الشديدة هي وراء انتشار أمراض العيون في مصر.[5]

---

[1] نفسه، ص 127 .

[2] فولني ، المصدر السابق ، ص 127 .

[3] Fourmont , op ,cit,p,26.

[4] فولني ، المصدر السابق ، ص 154

[5] PAR G .A.OLIVER : **voyage dans Lempire othoman legypte et la** perse ,a paris ,p . 152

أما الرحالة الفرنسي سافاري فقد عزى سبب إصابة المصريين بأمراض العيون إلى أنهم يستنشقون رائحة الورود ليلا فتسبب لهم الحساسية لعيونهم ، كذلك رياح الخماسين هي السبب في انتشار العمى ونفى أن تكون الحرارة أو الشمس الحارقة هي المسؤولة عن أمراض العيون مؤكدا أن البدو يعيشون في الصحراء وعيونهم سليمة[1].

- **الحمى** : كانت الحمى منتشرة عند المريين , حيث عانى الرحالة الفرنسيون من الحمى بسبب ارتفاع حرارة الجو ولكن فورمون أكد أن هواء القاهرة نظيف وأن مياه النيل هي العلاج الوحيد للحمى وهي لاتحتاج لغلي أو تطهير[2]
- **أمراض الرئة**: أكد الرحالة الفرنسي فولني أن أمراض الرئة تأتي بسبب رياح اخماسين فهي تؤدي إلى اضطراب الدورة الدموية في الشرايين فيطرد القلب الدم إلى الرأس والصدر وهذا يفسر النزف من الأنف والفم ولذلك عند هبوب الرياح لابد من وضع قطعة من القماش على الأنف تجنبا للنزف[3]
- **الأوبئة**: إنتشرت الأوبئة في مصر بشكل غير معقول حيث تحدث عنها فولني وفورمون بإطناب ومن أشهر الأوبئة الجذري وقد وصفه فولني بأنه شديد الفتك بالأرواح ويقول في ذلك (إن عددا كبيرا من حوادث العمى في مصر يرجع سببه إلى عواقب الجذري فهذا المرض الكثير الفتك في الأرواح هناك لايعالج بحسب الطريقة الصالحة إذ يعطى المصاب في الأيام الثلاثة الأولى دبسا وعسلا وسكرا ثم يسمح له في اليوم السابع بالألبان والسمك المالح كما هو لو كان في الصحة التامة ولا يعطونه مسهلا قط ويتعاشون خصوصا غسل عينيه حتى ولو امتلأت بالقيح)وأكد فولني عل طريقة العلاج السيئة للغاية وأنهم قلما يقومون بالتلقيح [4]

وقد أكد فورمون انتشار الطاعون في مصر وأشار إلى أن إبن دقماق أكد وفاة عشرين ألف شخص من جراء الطاعون [5] ،وكذلك يؤكد فولني إنتشار الوباء وأنه يكون بشدة في فصل الصيف ويرجح قدوم الوباء وأن موطنه الحقيقي هو الأستانة بسبب نقل الفراء والأثواب الصوفية إلى أسواق مدينة مصر وعندما يشعر الفرنسيون

[1] Savary :op ,cit ,+3p . 11

[2] Fourmont ,op.cit , p 26.

[3] إلهام محمد على ذهني، المرجع السابق ، ص 335.

[4] فولني ، المصدر السابق، ص 156 157.

[5] Fourmont , op.cit ,p 23.

بانشار الوباء فإنهم يغلقون باب الخان ولا يكلمون أحدا ولا يختلطون بأحد وتنكب مصر بالطاعون كل أربع سنوات [1]

3- التطبيب:

نتيجة الوباء إنتشرت الكثير من المحاجر الصحية في إزمير والإسكندرية [2]،وقد ذكرنا سابقا على لسان فولني أن المجتمع المصري كان يعتمد في التطبيب على طرق بدائية وأنه قلما يستعمل اللقاح، كما أن هناك العديد من الأطباء اليهود الذين برعو في مجال الطب مثل الطبيب حييم بن شوشان اليهودي ومنهم من كان يعين أطباء السلاطين ونقيب الأطباء بمدينة الإسكندرية وعلى الرغم من وجود البيمارستان وسط المدينة فإن ذلك لم ينفع من ممارسة أصحاب الطوائف الغير طبية لمهام الطبيب أو كهيئة طب شرعي مثل أن يقوم مزين أو شيخ طائفة المزينين بعلاج مصاب مطعون بسكين وكان يستخدم البن وتراب الفرن والعسل في كتم الجراح لوقت النزيف ، وكذلك يقوم الجراحون في حالات القتل المجهولة بتحديد سبب وفاة وأماكن الضرب ووصفها في تقرير طبي مفصل [3] .

كان المجتمع المصري يعتمد في العلاج على زيارة الأضرحة ودور العبادات وكما تحدثنا سابقا أن الرمد أحد الأمراض الشائعة والملازمة للمصريين والذي كان ضحاياه كثيرون ممن فقدوا أبصارهم نتيجة لطرق العلاج البدائية التي أستعملت مداواتها ، وكانت أشهر طريقة للعلاج وذات نصيب وافر من الشهرة ، تكمن في استعمال زيت قنديل السيدة نفسية ذلك القنديل المعلق في القبة فوق المقصورة بجوار الضريح ، والمرضى يذهبون في ليلة الحضرة إلى الزيارة فيبيت هناك ويكحل عينيه من زيت ذلك القنديل ويدفع للوقاد ما تيسر من نقود وإذا تم الشفاء يأتون بالنذور والهدايا ومن الأماكن المشهورة التي قصدها المصريون وخاصة النساء كان مغسل السلطان الموجود بميدان الرملية غرب قلعة القاهرة والذي يتم فيه تغسيل وتكفين من ينفذ بهم حكم الإعدام ، وكان هناك الحوض الذي يستمد منه الماء ملطخ بالدماء التي تتجلط الأمر الذي ينتج عنه رائحة كرريهة وفي هذا المكان تطلب المرأة المصرية العاقر الذرية الصالحة وكذالك المرأة التي تريد تسهيل ولادتها فكانت تمر بطقوس غريبة منها

[1] فولني ، المصدر السابق ، ص 161 162 .

[2] فولني ، المصدر السابق، ص 163.

[3] ناصر عبد المتجلى إبراهيم ، **الإسكندرية في العصر العثماني (الحياة الإقتصادية والإجتماعية)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ، ص 416 417 .

العبور فوق المصبة الحجرية لمدة سبعة مرات ثم غسل وجهها بالماء الملوث الموجود بالحوض ثلاث مرات بالأضافة إلى علاج الأمراض بالوصفات المورثة بالإضافة إلى امتهان مهنة الطب من قبل الحلاقين والعطارين[1].

4- الحرف:

تكونت الطبقة الوسطى من المجتمع المصري من فئة التجار والحرفيين واتفضت هذه الأخيرة بمصالحها مع الطبقة الحاكمة، ومن خلال تميزهم بمهارة خاصة متميزة أو من خلال رعاية هذه الطبقة الحاكمة لهم ، لقد نشات هذه الطبقة كما اكتسبت ترابطا وتماسكا منذ مجيئ الفرنسيين،[2].

لقد تعددت طوائف الحرف في مصر إبان الحكم العثماني وقد وصل عددهم إلى مايقارب 71 طائفة كالنحاسين والخياطين والعطارين وغيرهم من الطوائف والإسم العربي لطائفة الحرفية هو صنف أو حرفة ولم تقتصر هذه الأخيرة في مصر العثمانية على طبقتي الصناع والتجار بل ضمت أخرى من المهتمين بأعمال العقلية كالعلماء والمدرسين والأطباء حتى العاهرات في ذلك العصر انضممن في طائفة ، كما كان التجار والصناع المنظمين إلى طوائف الحرف في مصر العثمانية يمثلون عددا كبيرا من سكان مصر في ذلك الوقت ولعل التقسيم الطبقي الذي وضعه نابوليون بونابرت للديوان العام في 21 سبتمبر 1798م ، بعد إخماد ثورة القاهرة الأولى بتقسيمه إلى هيئتين هما: الديوان العمومي والديوان الخصوصي مما يوضح أهمية وضع طوائف الحرف بالنسبة لبناء المجتمع المصري أنذاك فقد كان أعضاء الديوان العمومي ستون عضوا يمثلون كل طبقات المجتمع على النحو التالي:

- أربعة عشر عضوا من العلماء والمشايخ .
- ستة وعشرون عضوا من التجار والصناع .
- واحد وعشرون عضوا من رجال العسكرية .
- إثنان من مشايخ الأخطاط .
- أربعة من الأقباط و ثلاث أعضاء من الأجانب .

كل هذا يؤكد مدى أهمية طبقة الطوائف الحرف بالنسبة لبناء المجتمع المصري العثماني ، كما كان لكل طائفة حرفية مهما كان نوعها شيخ هو رئيس الطائفة وكبيرها ومديرها وهو يمثل الحكم في كل شؤونها الداخلية وقد إختص بفصل النزاع بين أعضائها [1].

---

[1] عماد عبد الرؤوف الرطيل ، **الطب والعلاج في مصر العثمانية وعهد محمد علي** ، دار الجمهورية للصحافة ، دط ، ص145 148.

[2] بيتر جران ، **الجذور الإسلامية للرأس مالية 1760 1840م** ، تر: محروس سليمان ، مر: رؤوف عباس ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، دط ، ص 50.

التصوف وقد كثر أرباب الطرق الذين اتخذو والدروشة وسيلة لكسب الحرام فكانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى قرية يقيمون الحضرات ويعطون العهود والمواثيق للناس فيظهر هاؤلاء لإقامة الولائم للمشايخ وتقديم الهدايا لهم من سمن وزبد وجبن وحبوب وأغنام وفواكه وبالتالي فهم فئة عالة على المجتمع[2].

لقد شاع التصوف بين المصريين في العصر العثماني وهذا راجع إلى رغبة الناس في الهرب من واقع الحياة المرير التي خيم عليها الفقر والظلم والإستبداد إلى الخيال للإستعانة به على احتمال تلك الحياة ، وقد قوى الإرتباط بين طوائف الحرف والطرق الصوفية الكبرى كراع لها فطائفة الجزارين مثلا ارتبطت بطريقة البيومية ،[3] وغالبا ماحمل السقاعون لقب الحاج وكان الإرتباط وثيقا بين الدراويش وطوائف الحرف فقد كانت الطرق تستمد أساسا أعضائها من طبقة الصناع والتجار وكان معظمهم دراويش مصر في ذلك العصر من التجار أو الصناع أو المزارعين [4].

وعلى سبيل المثال في مدينة القاهرة كان كل حي يكتسب خاصيته المميزة له من ذلك الرباط القائم بين المنظمات الحرفية (الطوائف) والمنظمات الدينية (الطرق الصوفية) فعلى سبيل المثال حي الحسينية الذي كان قائما بين الجزارين والطريقة البيومية ، كما كانت طائفتهم هي التي تجمعت حولها حركات التمرد وكذلك حي باب الشعرية والذي كان الإرتباط فيه بين تجار الفواكه والحبوب بالطريقة الشعراوية.[5]

5- المرأة:

إهتم الرحالة الفرنسيون في كتاباتهم بالمرأة المصرية فبطبيعة الحال المرأة العربية تختلف إختلافا تاما عن المرأة الغربية في شتى المجالات سواء من ناحية تحررها والأعمال التي تمارسها وخاصة اللباس .

حيث أعاب الرحالة الفرنسي فولني على لباسها وقال (وتلك الأشباح المتنقلة المغطاة بثوب واحد ، التي لايبرز من شكلها الإنساني غير ناظرتي إمرأة) ونفهم من خلال وصفه هذا للمرأة فإنه يرى من وجهة نظره أنها

---

[1] ليلى عبد اللطيف أحمد ، **دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام ، إبان العصر العثماني** ، مكتبة الخانجي، دط ، مصر ، 1980م ، ص 59 .63

[2] محمد سيد كيلاني ، **الأدب المصري في ضل الحكم العثماني (922هـ . 1220هـ / 1517 . 1805م)** ، دار الفرجاني ، دط ، مصر ، دس ، ص26 .

[3] **البيومية:** أسسها على البيومي أحد أتباع الطريقة الخلوتية ثم واحدا من أتباع الطريقة الأحمدية قد أصبح مركزا لعبادة حقيقية في هذا الحي الذي سكنه منذ زمن قريب وكان على البيومي هو نقطة البدء في تكوين طريقة صوفية جديدة ، أنظر أندريه ريمون ، المرجع السابق، ص49 .

[4] أندريه ريمون ، **القاهرة العثمانية بوصفها مدينة : شؤون البلديات ومشكلات المرافق ،** الجمعية التاريخية المصرية ، الع: 20 ، 1973م ، ص109 .

[5] أندريه ريمون ، المرجع السابق، ص 48 49 .

لانتعم بأي حق من حقوق الإنسان،كما عبر فولني عن عدم إعجابه بالنساء المصريات (أجسادهن ضعيفة جلودهن عليها صفرة)[1]

ولكن الرحالة الفرنسي سونيني أنصف المرأة المصرية فذكر أنها (على جانب كبير من الجمال سواء المسلمات أو المسيحيات يضعن الكحل في أعينهم ويصبغن رموشهن ويتزين بالحنة)[2] .

كما قدم الرحالة الفرنسيون وصفا موجزا عن نساء المماليك والأتراك وقد اعجب الرحالة بنساء الأتراك فذكر فورمون (أنهن على جانب كبير من الجمال فهن من أجمل نساء العالم يتم جلبهن من موسكو وجورجيا ولكنهن لن ينلن أي نصيب من التعليم)[3] .

أما النساء القرويات فقد وصفهن الرحالة الفرنسي أوليفيه (أنهن قبيحات يخفين وجوههن عند رؤية الأجنبي) وقد أعطى هنا تفسيرا خاطئا لسبب تغطية وجهها وأغفل على أن الدين الإسلامي ينص على ذالك[4] .

ولكن الرحالة سافاري خالفه الرأي فقد وصف القرويات وصفا شاعريا فهن (ممشوقات القوام يحرصن على الإستحمام من مياه النيل فتبدوا أجسادهن الممشوقة الجذابة ، يدلكنها بطمى النيل واسترسلت جدائل شعورهن على أكتافهن القمحية الداكنة وبشرتهن التي لفحتها الشمس الحارقة)[5] .

ولم يقتصر وصف الرحالة على نساء مصر من الطبقة الحاكمة والمصريات والقرويات ، وإنماقدمو وصفا للنساء العوالم في مصر فذكر سافارى(للعوالم مجتمع خاص بهن وهن يتقن الغناء والرقص ولا يوجد إحتفال يتم في مصر دون غناء ورقص العوالم الاتي يمتزن بنعومة أجسادهن ، ويرقصن على نغمات الطبول ينشدن الأشعار والمواويل حتى الأتراك أعداء كل الفنون يجدون متعة في الإستماع إلى الغناء ورقص العوالم ولابد من تواجد العالمة في حفلات الزفاف حيث تسير أمام العروس مع إيقاعات الموسيقى)[6] .

وقد اهتم الرحالة بوصف ملابس النساء خاصة نساء المماليك اللاتي يحرصن على إرتداء الملابس الثمينة وتفوق ملابسهن ملابس القرويات فخامة وجمالا وأناقة [7] .

---

[1] فولني ، المصدر السابق ، ص 13 .

[2] Sonnini , op cit , pp.292 291.

[3] Fourmont , op.cit .p.103.

[4] Olivier , op cit .p.109 .

[5] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق، ص 285.

[6] Savary op.cit + 1pp.149 -155 .

[7] Maillet : op ,cit ,p,12.

ويقول الرحالة سونوني أن النساء المصريات أكبر حجما من الفرنسيات وأن نساء مصر يتصفن بالغيرة الشديدة على أزواجهم، وذكر أنه في حالة تزوجه بإمرأة أخرى فإنها تدس له السم ببطئ وتتركه يتعذب لمدة عام حتى يسقط شعر رأسه ولحيته وأسنانه وهي تراقبه في غل وشماتة حتى يموت مسموما.[1] ولعل ماتحدث عنه سونوني ليس بسم فربما قد يكون نوعا من السحر الأسود .

وذكر الرحالة فورمون أن المرأة تلقب بست أو هانم أو بإسم إبنها ولا يمكن أن يناديها أحد بإسمها وهي حريصة على تربية أولادها وإرضاعهم لمدة عامين حسب الشريعة وإن عجزت تستدعي مرضعة كما إنها إن عجزت على إنجاب الأطفال تهدي له جارية وإذا ولدت الجارية فمن تتولى تربيته هي الزوجة الأولى[2] .

كان من الطبيعي أن يلتمس الرحالة الفرنسيون الفرق بين المرأة المصرية والمرأة الفرنسية وخاصة أن نساء الشرق كانوا محافضين ، كما أعجب مليه بغيرة الشرقي على نسائه فكتب (يراعي الشرقيون التقاليد أكثر منا ويعرفون الفضيلة والطهر أكثر من الغرب)[3]، كما شاهد فورمون أنه إذا خرجت نساء المماليك أو الأتراك للزيارة فلابد أن يصحبها الجنود الإنكشارية يسيرون أمامها بينما يتبعها العبيد والجواري طوال الطريق متمنين لها الصحبة السعيدة والتوفيق[4] .

وبعض الرحالة أعجبوا بطريقة حياة المرأة المصرية مثل الرحالة سافاري والبعض الأخر إنتقدها مثل سونيني الذي قال أن نساء الشرق مضلومات وهم بمثابة الأسرى كما أكد مليه أنهم مجبورات على الزواج [5]

يمكننا القول أن رحالة القرن الثامن عشر قدموا وصفا تفصيليا عن مصر في جميع الجوانب كما ذكرنا سابقا , لم يقتصروا على ذلك بل لمسوا في وصفهم حتى أحوال مصر السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و ذلك تمهيدا لدعوتهم التي تمثلت في غزو مصر و هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني .

[1] Sonnini ,op , cit ,p.24.

[2] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص 287.

[3] Maillet , op , cit , p106.

[4] Fourmont ,op,cit ,p104.

[5] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص288.

المبحث الثاني: أوضاع المجتمع المصري قبيل الحملة الفرنسية

شهد المشرق العربي توسع عثماني أدى إلى حدوث تصادم واحتكاك بالمماليك المسيطرين على مصر في معركة الرايدانية بين القوات المملوكية والقوات العثمانية في 23 جانفي 1517 وكانت نتيجة ذلك انتصار العثمانيين على المماليك وأصبحت مصر إبتداء من التاريخ المذكور ولاية عثمانية.

وفي القرن السابع عشر أخذت الدولة العثمانية تضعف أمام أعدائها واتضح أكثر خلال القرن الثامن عشر وقد انعكس ذلك على ممتلكاتها في الشرق خاصة مصر حيث بدأ فيها نفوذ وسيطرة المماليك على مقاليد الحكم ومن جهة أخرى زادت حدة الصراع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا للإستيلاء عليها زد على ذلك الرحالة و القناصل الفرنسيين الذين حملت مؤلفاتهم جل واقع مصر حيث دونوا كل جوانبها و ترجموها عبر رسائل و كتب لحكوماتهم يصفون فيها كوامن العجز و القوة الذي يحدث بمصر في القرن الثانت عشر .

في هذا الفصل سوف نتطرق إلى واقع أحوال مصر من خلال وصف الرحالة الفرنسيين حتى الحملة الفرنسية .

المطلب الأول : الواقع السياسي و الإقتصادي

1- الوضع السياسي :

و يذكر في ذلك الرحالة سفاري[1] الذي قام برحلته عام 1777 م أنه جاء إلى مصر في الوقت الذي انتشرت فيها الفوضى و قبض المماليك على زمام الحكم و انتشرت المكائد و الدسائس فيما بينهم و اشتعلت الحروب الأهلية مما مهد للحملة الفرنسية في نهاية القرن , وقد أهتم سافارى بمناقشة و تدوين الأوضاع السياسية في مصر , و ما يأكد دراسة الرحالة سفاري لمصر كتابه المؤلف من ثلاث أجزاء الذي تناول في أحد فصوله عن الحروب الأهليه و قد ركز سفاري عن الأحداث التي شاهدها بمصر واصفا أحوالها السياسية [2] .

حيث إرتكزت أحوال مصر تحت الحكم العثماني المملوكي على ثلاث هيئات :

1- **الوالي (أو الباشا)**: كان نائب السلطان ورئيس السلطة التنفذي , مدة بقائه من سنة إلى ثلاث سنوات مكان عليه إرسال الضريبة إلى السلطان العثماني .

2- **ثانيا** : الديوان ويتكون من كبار الضباط والحامية العثمانية والموظفين والعلما , له سلطة مراقبة الوالي ولا يستطيع الوالي التصرف في المسائل المهمة إلا بالرجوع إليه .

3- **ثالثا:** الحامية العثمانية تألفت من فرق عسكرية تقوم بحفظ النظام و الدفاع عن الدولة [3].

ومن المعروف أن أوضاع مصر عند مجئ الحملة كانت قد بلغت أقصى درجات الإنهيار نتيجة استئثار المماليك بالسلطة و النفوذ واهمالهم لشؤون البلاد في جميع المجالات , وكانت النظم السياسية التي وضعها العثمانيون في بداية القرن السادس عشر هي المسؤولة في إستئثار المماليك .هذا ما أدى ضعف الأحوال في مصر , إذ قامت فلسفة العثمانيين في حكم مصر على تعدد السلطات بها [4] حتى يضمنوا بقائها ولاية عثمانية . وكان

---

[1] **سفاري** : وعتبير سافارى (1785/1750 م) من أهم الرحالة الذن زاروا مصر فى تلك الفترة وقد درس ف كلية الراين وسافر الى مصر عام 1777 م حيث مكث فيها ثلاث سنوات وقد مد له لي مونييه عضو الأكاديمية العلمية فى باريس يد المساعدة فى كتابة رحلاته التي طبعت بتوصية من شقيق الملك لويس الخامس فى عام 1756 م , وان الغرض من رحلته كان تدوين ملاحظاته عن الإمبراطوريات و بطولات الشعوب والاتصال بلاتراك والعرب واليونانين . ينظر إلى : ثروة عكاشة , **مصر في عيون الغرباء الرحالة و الفنانين و الأدباء القرن التاسع عشر** , القاهرة 1981 م ج1 , ص 87 .

[2] إلهام محمد علي ذهني , **المرجع السابق** , ص66 , 67 .

[3] عصام محمد شبارو , **المقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي و الغزو البريطاني** , دار التضامنَ , لبنان , 1992 , ص 17 .

[4] لطف الله بن أحمد حجاف , **نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر** , ط2 , مركز الدراسات اليمنية صنعاء , اليمن , 1989 , ص 56 .

العثمانيون قد استعانوا بباقي العناصر المملوكية في حكم مصر بعد كسر شوكتهم في عام 1517 لخبرة هؤلاء الطويلة بشؤون البلاد ودرايتهم بأحوالها فاستطاع المماليك بالتدرج من سيطرتهم ونفوذهم حتى قاموا بعزل الوالي العثماني في مصر و حبسه في القلعة حتى يعين غيره بل وفكروا أكثر من ذلك في الاستقلال بحكم مصر وطرد العثمانيين منه , و هذا ما دعا إليه الرحالة أوليفيه [1] في الفترة التي جاء فيها إلى مصر فطالب الحكومة الفرنسية بانفصال مصر عن الباب العالي فوجد أن أنه تعود بالمنفعة على استقرار الفرنسيين ف مصر حيث قال : " ..ذلك سيأدي إلى استقرار الفرنسيين و تجارتهم ولا سيما ان المماليك لا يكفون عن التطاحن , و الحكومة العثمانية عاجزة عن القضاء على المماليك بسبب انتشار الفوضى والا بد من غزو مصر لإعادتها على عظمتها ..." . فشاهد الرحالة أوليفيه زيادة الفوضى والاضطرابات بسبب منافسة المماليك فيما بينهم حول الوصول إلى المناصب العليا مثل شيخ البلد أو إمارة قافلة الحج المصري [2] .

فتحقق ما كان يرغب به أوليفي, ففي 1763 كانت مصر تحت حكم واحد من المماليك وهو علي بك الكبير* , استغل انشغال تركيا بالحرب الروسية التركية 1763 حيث أعلن استقلال مصر فخرج عن طاعة السلطان, وامتنع عن دفع الخراج ومنع ورود الولاة العثمانيين فضرب النفوذ باسمه فجرد الجيوش وفتح الجزيرة العربية فنادى به شريف مكة سلطان مصر , لتخلص من سلطة السلطان العثماني وبعث إليه محمد بك أبوالذهب , حيث استطاعت الدولة العثمانية على تفاهم مع أبو الذهب في القضاء على علي بك الكبير فعاد إلى مصر , وقتل سيده فاستطاع أن يتربع على كرسي الولاية.[3]

و تزامن مجيء الرحالة فولني* مع حكم أبو الذهب على مصر فكان شاهد عيان على سوء حكمه و طغيانه فعبر عن ذلك في قوله : " هؤلاء العسكر الفاسقين و المجانين " .[4] , حيث تطرق في كتابه عن وصف

---

[1] أوليفيه : **رحالة فرنسي زار مصر في عهد حكومة الإدارة** , ينظر : المرجع نسه , ص 42 .

[2] عبد الرحمان الرافعي , **المرجع السابق** , ص 76 .

***علي بك الكبير**: مملوك قوقازي وحاكم مصر ولد سنة 1728 وتوفي 8 ماي 1773 تولى قيادة قافلة الحج في 1753 ولقب شيخا البلد في 1760 ثم انفرد بحكم مصر قبل في معارك دار بينه وبين محمد بك أبو الذهب .ينظر رؤوف سلامة موسى , **موسوعة أحداث وأعلم مصر والعالم** , ج 2 , ط1 دار ومطابع المستقبل بيروت , لبنان , 2002 , ص 689 .

[3] محمد فرج , **النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية** , دار القومية , 1999 , ص 11 .

* **فولنى** : رحالة فرنسي , ولد فى عام 1757م فى مدينة صغيرة فى مين بفرنسا , عمل محاميا واعجب بالمفكر الفرنسى فولتير , فآخذ منه المقطع الأول من اسمه والمقطع الآخر من اسم المقاطعة التى ولد فيها وهى فيرنى ليصبح اسمه فولنى , جاء الى مصر فوصل القاهرة 1782م , لم يحب مصر . ينظر إلى إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 72 .

[4] روبير سوليه ، **ولع فرنسي** , تر: لطيف فرج , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1999 , ص 28 .

مصر التي لم يحبها فذكر ف مؤلفه عن الفوضى , والأوبئة , والمجاعات , فعكس الصورة السيئة و العصبية عن مصر في الفترة الذي سايرها , و شدد عن ضرورة انتقال هذه البلاد – مصر- إلى أيد أخرى فذكر " .. يوجد في غزو مصر ما يرضى جميع الأذواق ... " [1] . ولم يطل عهد أبو الذهب بل مات بعد عامين .

و بقيت مصر تحت حكم المماليك فكل من أتى يشبع بطنه متلهيا عن أوضاع البلاد المتدهورة الأمر الذي أزعج الرحالة ماجالون *الذي عبر عن استياءه " لا بد من إنهاء عبث الحكام المماليك بمصالح فرنسا التجارية .. " [2]

و رأى أن السكان المغلوب عليهم من جور الحكام انعدمت فيهم روح التمييز فأضحوا في سبات نائمين حيث عبر عن ذلك " ان سكان مصر أصيبوا بالعمى ولا يعرفون مصالحهم الحقيقة و أنه من مصلحتهم إبعاد سلالة المماليك الذين جلبو عليهم العار..... يجب أن لا نترك مصر غارقة في يدد البرابرة .. " . [3] .

بعد موت محمد بك أبو الذهب برز في مصر ثالوث [4]من المماليك هو اسماعيل بك, إبراهيم بك ,* ومراد بك, حيث انقسم المماليك إلى محمدية (نسبة لأبي الذهب) وعلى رأسهم ابراهيم بك ومراد بك والى علوية (نسبة لعلي بك الكبير) وعلى رأسهم اسماعيل بك , وتغلب ابراهيم بك ومراد بك على اسماعيل بك بينما عزمت الاستانة على إيقاف الفوضى في مصر فأرسلت حملة بحربة بقيادة القبطان حسن باشا في 1786 وعمل على كسب ثقة الأهالي عن طريق تخفيض الضرائب وأرسل القوات ضد كل من ابراهيم بك و مراد بك ومع أن القبطان انتصر عليها إلا أنه لم يستطع القضاء عليهما فعفا عنهما قبل خروجه من مصر فعاد إلى القاهرة . [5]

---

[1] روبير سوليه , المرجع السابق , 28 .

* رحالة فرنسي عين قنصلا في مصر عندما قامت الثورة عام 1793 , ينظر إلى : فاروق الأباضة , **عدن و سياسة البريطانية في البحر الأحمر** , القاهرة 1997 , ص 80 .

[2] المرجع نفسه , ص 42 .

[3] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق . ص , 44 .

[4] محمد رفعت , **تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة** , ج1 , المطبعة الأميرية بولاق , القاهرة مصر , 1934 ص 11 .

* **ابراهيم بك** : مملوك وحاكم مصري ولد 1735 وتوفي 1816 نافس مراد بك وحلف أبو الذهب بين 17751798 في حكم مصر وعندما احتل نابليون مصر ء هرب إلى سوريا وتفادي مذبحة محمد علي للمماليك في 1811 وعاش بقية عمره طريدا » ينظر **رؤوف سلامة موسى** ,. المرجع السابق» ص 41.

[5] عبد العزيز نوار , **تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق** , دار النهضة العربية , بيروت , 1983 , ص 72

كان إبراهيم بك ضخم القامة حسن الطلعة حاد العينين إمتاز بالغنى ، الطمع والاحتيال؛ أما مراد بك فكان يفوقه إقداما وحزما وفيه كرم وسخاء وكلاهما لم يؤيدا سلطتهما إلا بالقتل والنهب والاحتيال وقد إتفقا على اقتسام إيراد البلاد . [1]

واقتسما السلطة بينهما وصارا يتناوبان مشخية البلد وإمارة الحج أي السلطتين الإدارية والحربية فكان إبراهيم بك عادة شيخ البلد ومراد بك أمير الحج وقائد الجند وجعلا يتنازعان ويسيئان حكومة البلاد حتى مجيء الحملة الفرنسية على مصر 1798م . [2]

2- الوضع الإقتصادي :

ذكر الرحالة سونيني * عن تدهور الحالة الإقتصادية في مصر بسبب تحول النشاط التجاري بين الشرق و الغرب إلى طريق رأس الرجاء الصالح ؛إذ إقتصرت صلاتها التجارية على حوض الأبيض المتوسط والسودان والحبشة وبلاد العرب؛ وكان للنظام الضريبي أثره الواضح في المستوى للطبقتين الوسطى والفقيرة , وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادي للدولة وتأثرت التجارة الداخلية باضطراب الأمن واشتداد تنازع الفرق العسكرية إضافة إلى تغلب العملة المتبادلة واختلاف المكاييل والموازيين بين مكان وآخر زد على ذلك سيطرة التجار الأجانب على سوق التجارة بفضل انتظامهم وامتيازاتهم التجارية التي يقرها الحكام العسكريون و عبر عن العجز الإقتصادي ف مصر بقوله : " لابد من غزو مصر و الاستفادة من تدهور أوضاعها الاقتصادية , فمن الأفضل لفرنسا أن تستولي على مصر , فمن الممكن أن تكون مركزا لتجارة العالم لو استولت عليها فرنسا .. " , [3] و أكد سهولة غزوها بسبب ركود اقتصادها الذي أصبح في طريق الزوال حيث قال : " أوضاع مصر الاقتصادية متناهية بشكل كامل , فعلى الحكومة الفرنسية أن تغتنم فرصة الغزو ... " . [4]

كما أشار خلال فترة بقاءه في مصر عن الزراعة فأوضح أن الأرض كانت ملكا للدولة ممثلة في السلطان؛ يزرعها الفلاحون بمقتضى ما يسمى حق الإنتفاع أي يزرعوها لحساب الدولة والسلطان وينتفعون بها

---

[1] جرجي زيدان؛ **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم 2** , مؤسسة الهنداوي , القاهرة , مصر , 2012 , ص 130.

[2] محمد رفعت , المرجع السابق , ص 11 .

* **السونيني**: العالم دي مانكور هو رحالة فرنسي ولد سونيني في اللورين عمل محاميا , ومهندسا بحريا , زار أمريكا خلال (1772 /1775م) و افريقيا الغربية , اهتم بالتاريخ الطبيعي والطبي سافر الى مصر خلال (1777 / 1780م) , ويعتبر مؤلف سونيني من أهم المؤلفات التي كان لها تأثيرها بعد كتاب سافارى , وفولنى . ينظر إلى: إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص ص 69-70 .

[3] جون ماري كاريه , **رحالة و أدباء فرنسيون في مصر** , تر: سونيا نجا , مكتبة الكويت الوطنية , الكويت ,2006 ص 21 .

[4] المرجع نفسه , ص 24 .

بعد دفع الضرائب , وأدى هذا النظام إلى إهمال المزارع للأرض و زاده إهمالا تراخي الدولة عن حفظ الأمن وإهمالها لأمور الري وتقوية الجسور للوقاية من الفيضان , حيث دون سونيني عن في كتاباته قائلا : " ان درجة خصوبة أراضي الصعيد أكثر من أي مكان أخر و لكن المصريين لا يعرفون كيفية الحفاظ على هذه الميزة فهم يتركون الحبوب غنيمة للعصافير ... " . [1] , فنرى من خلال وصف سونيني أن خصوبة رمال الأراضي المصرية ثروة حقيقية , لكن تساهل الفلاح جعلها تتلف بسبب الأحكام الجائرة على الفلاح في أرضه .

و ذكر سفاري كذلك عن تراجع مساحة الأراضي الزراعية في مصر بسبب زحف الرمال عليها .. " . حيث وجه سفاري في كتاباته اللوم على العثمانيين و المماليك الذين أهملوا قامة الجسور و القناطر مما أدى إلى إتلاف مساحات كبيرة من الأراضي . [2] حيث ذكر أن إلتهاء السلطة الحاكمة بالمصلحة الذاتية جعل الأراضي في أزمات كانوا عن غنى عنها .

فيما أوضحت تقارير ماجالون مزايا الإستلاء على مصر لخصوبة أراضيها و تحويلها إلى مستعمرة زراعية و سوق لتوزيع السلع . [3]

حيث يذكر الرحالة سافاري عرقلة تطور الزراعة بمصر : " الضرائب الباهظة التي تفرض على الفلاحين , و استخدام البكوات و الكشاف القوة و العنف في تحصيلها من الفلاحين الفقراء اللذين لا يجدون مفرا سوى بيع أدواتهم الزراعية لدفع هذه الضرائب [4] .

فيما أدرك أوليفي اهمية الثروة الزراعية لمصر على عكس سابقيه فكتب للحكومة على ضرورة غزو مصر فكتب : ان ثروة مصر الزراعية تجعلنا لا بد و أن نفكر في امتلاكها لكي نجنى العديد من الفوائد , فإننا نستطيع أن نستفيد من تربتها الخصبة و من محاصيلها الغنية " . [5]

و عبر القنصل الفرنسي مور في رسائله عن استمرار الفوضى في البلاد و تدهور أحوال مصر الإقتصادية : " فالسكان لا يملكون ثمن شراء القمح و يقال أن عدد سكان مصر السفلى قد تناقص إلى النصف .. " . [6]

---

[1] Carre , Jean : **Voyageurs et écrivains Français en Egypte** , Le Caire 1922 , 1P , P 115 .

[2] جون ماري كاريه , المرجع السابق , ص 25 .

[3] المعلم نقولا الترك , **الحملة الفرنسية على مصر و الشام** , محقق دكتور ياسين سويد ,ط1 , دار الفرابي , بيروت , لبنان 1990 , ص 19

[4] المرجع نفسه , ص 24 .

[5] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 161 .

[6] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 34 .

و من خلال كتابات الرحالة سافاري الذي وصف الحالة الصناعية في مصر و أبدى لحكومته مدى ضعفها و اقتراب انتهائها حيث عبر عن ذلك : " حتى الصناعات اليدوية فإنها في أبسط أحوالها ويندر أن تجد في القاهرة من يصلح الساعة واذا وجد فهو أفرنجي , أما الصناعة فأصحابها فيها أكثر مما في أزمير وحلب لكنهم جهلاء وانما يتقنون المنسوجات الحريرية وإن كانت أقل إتقانا وأغلى ثمنا من صنع أوروبا ...". [1] , فاقتصرت الصناعة في مصر على الصناعات اليدوية ولم تبلغ ما بلغته أوروبا من صناعة آلية و كان الصناع ينتظمون في طوائف ترعى علاقتهم بالحكومة من حيث جمع الضرائب و الإشراف على الإنتاج وكان لكل مهنة طائفتها و لكل شخص طائفة ولكل طائف شيخها.

فيما وصف ميليه الصناعة في مصر : " بأنها بدائية متأخرة متدهورة " [2] , و عبر سونيني عن أسفه لتدهور الصناعة في مصر و هي التي كانت صاحبة حضارة عريقة . [3]

فأما التجارة فتحدث الرحالة فولني ف كتاباته فعبر عن اندهاشه : " قد يدهش المرء وسط هذه الهمجية الشاملة ان تحتفظ التجارة بهذا النشاط في القاهرة " [4] . فذكر أنه من الرغم ما أصاب مصر من تدهور سياسي في القرن الثامن عشر إلا أنها ظلت سوقا للمتاجر الواردة اليها من الشرق و البحر الأحمر و ذلك لأنها تمتعت بموقع جغرافي هام بين البحر المتوسط و اسيا افريقيا و أوروبا فظلت مركز المواصلات و التجارة في العالم , فمصر تتصل بالهند بواسطة البحر الأحمر و تنقل القوافل الى القاهرة و منها إلى الإسكندرية وفى الاسكندربة تصل السفن القادمة من أوروبا وآسيا الصغرى وسورية بلاد المغرب لتحصل على البضائع الشرقية والافريقية . [5]

و ذكر الرحالة أوليفي عن تصدير مصر للبن لكل من سوريا و أزمير و الأستانة و الخليج العربي و أسيا الصغرى ووصف بن مصر في جودته : " و هو يمائل في جودته بن البرازيل " . [6]

كما كتب الوزير الفرنسي بونشراتان عام 1692 م , " إن أجود و أفضل أنواع الجلود التي تصلنا جلود مصر " , و قد أقبل التجار الفرنسيون على شراء الجلود المصرية إقبالا كبيرا حتى انه تكونت الشركات لشرائه من مصر منذ عام 1692م وعينت غرفة تجارة مارسيليا مراقبا منها في عام 1791 م وأصبح مراقب الجلود في

---

[1] جمال الدين الشيال , **الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية** , مكتبة الثقافة الدينية , بور سعيد , مصر , 2000 , ص 12

[2] المعلم نقولا الترك , المرجع السابق , ص 24 .

[3] إلهام ذهني , المرجع السابق , ص 177 .

[4] فولني المصدر السابق , ص 18 .

[5] Climent , **les Francisais D'Egypte au XVII et XVIII siècles** , le,Caire 1960 , P , 106 .

[6] Climent , Op , cit , p.126 .

الإسكندرية يشترى الجلود ليس فقط لصالح الفرنسيين وإنما لصالح اليهود والبريطانيين كذلك وقد حرص القناصل الفرنسيون على تنظيم عملية شراء الجلود بين التجار الفرنسيين معا للتنافس فيما بينهم . [1]

أما عن واردات مصر من فرنسا فقد شملت المنسوجات والأوراق والنحاس والحديد والقصدير وبعض منتجات جزر امريكا على أن الاقمشة خاصة مارسيليا شكلت أهم صادرات فرنسا لمصر وكانت مطلبا لكبار الشخصيات فى مصر خاصة البكوات , وفى عام 1748 م كتب القنصل الفرنسى ليرنكور " ان اقمشة مارسيليا أساس تجارة فرنسا فى مصر " . و كتب " القماش الفرنسي ارخص السعر و ألوانه جميلة و لكن القماش البريطاني يمتاز بالمتانة " [2]

و هذا لا يخلو من أن جميع الرحالة لمصر أثنو على تجارتها , ففي 1740 م حدث انخفاض واسع النطاق في الواردات الفرنسية من المنسوجات المصرية. ويزعم ريمون أن هذا النقص كان راجعا من ناحية إلى تضاؤل جودة المنسوجات المستوردة. كما تسبب فيه من ناحية أخرى القيد الذى فرضته الغرفة التجارية فى مارسيليا على عرض الأنسجة المستوردة. وقد كان هذا القيد نتاجا للألوان الفرنسية الجديدة التي تخرج أقمشة ذات مقطع عرضي أكبر من تلك التي تنتجها الألوان المصرية الضيقة, كان هذا التضييق على استيراد الأقمشة غير العريضة مفروضا من أجل حماية المنسوجات الفرنسية. [3]

نجد كذلك القنصل ليريكور الذي كتب " لقد أرسلت إلى بلد لا يعرف المبادئ ولا المثل " و أعرب عن استيائه لارتفاع الأسعار في القاهرة " الحياة فيها أغلى من باريس " [4]

كذلك الغش في العملة وتم خلط العملة بالنحاس زيادة عن القانون فكثرت اللصوص و مفسدون و انعكس ذلك عن السوق المحلية , و ارتبكت الأسعار , و كسدت بعض السلع , و فشت في القاهرة الفضة النحاس و صار ال النصف المختوم لا يوجد و ان وجد لا يتعامل به , و انما تأخذه اليهود و يقصوه بينهم و يصرف , مما كان يؤثر على المستوى المعيشي. [5]

---

[1] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 182 -183 .

[2] Climent , OP , cit , P.204

[3] عفاف لطفي السيد مارسو , **مصر في عهد محمد علي** , تر: عبد السميع عمر زين الدين ,ط1 , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , 2004 , ص 22 .

[4] روبير سوليه , المرجع السابق , ص 40 .

[5] عبد الغنى , أحمد شلبي , **أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء و البشوات** , تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمان , ص 11 .

كما أشار ماجلون في تقاريره و رسائله التي أرسلها إلى حكومة المؤتمر الوطني و إلى لجنة الأمن العام 1705 م و أوضح فيها مدى ضعف و وهن مصر و ضرورة إستلاء على السويس و البحر الأحمر . [1] و كتب ميليه [2]*عن السويس " لو تمكن الفرنسيون بالقيام من تحقيق ذلك لأصبحو سادة مصر .. " [3]

نرى مما سبق اهتمام الرحالة و القناصل الفرنسيين بوصف نشاط مصر الاقتصادي من زراعة و صناعة و تجارة حيث يتضح هذا الوصف قاصر على خدمة مصالح بلادهم , فدرسوا أهم نقاط الضعف و القوة لتخطيط للغزو .

[1] Carre , Op , cit , P83 .

[2] * ولد **بينو دى ميليه** فى اللورين (1656/ 1738م) وعين قنصلا فى القاهرة فى عام 1692م ثم عين عام 1715م مفتشا عاما لأسكالات الشرق وأقام فى اواخر أيامه فى مارسيليا وقد ظهرت له عدة كتب بعد وفاته فى عام 1743 م ظهر له كتاب عن حكومات مصر القديمة والحدثة كذلك نشثر بعد وفاته كتابا فى عام 1855م بحوي محادثات بين فليسوف هندى وقسيس فرنسى , أما مذكرات ميليه التى نثرت باسم « وصف مصر » فكانت حصيلة لمشاهداته واكتشافاته للآثار المصرية القديمة والموميات والمخطلوطات القبطية وقد أعجب ميليه بآثار مصر وحضارتها . ينظر : إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 86 .

[3] المرجع نفسه , ص 188 .

المطلب الثاني : الواقع الاجتماعي و الوعي الثقافي

1- الوضع الإجتماعي :

أما من الناحية الاجتماعية حيث أن معظم سكان مصر كان مغلوب عليهم و أوضح فولني ذلك في قوله " لا يمكن إنقاذ سكان مصر إلا بتدخل أجنبي و يمكن أن تكون فرنسا هذا البلد " [1] .

إنقسم سكان مصر إلى حكام ومحكومين ويمكن القول أن المجتمع المصري تكون من قوى اجتماعية فوقية وهي الأقلية و تتألف منا الأتراك العثمانيين والمماليك وأخرى تحتية وفي مقدمتها طبقة المشايخ أو علماء الأزهر والتجار ثم الفلاحين والصناع ومعظمهم من العرب[2] . حيث أن معظم سكان مصر كان مغلوب عليهم و أوضح فولني ذلك في قوله " لا يمكن انقاذ سكان مصر إلا بتدخل أجنبي و يمكن أن تكون فرنسا هذا البلد " [3] .

و رحالة أوليفيه عبر عن ذلك " فمصر هي الفوضى و الجهل و الفقر و الطغيان " . [4] حيث كان الجهاز الحاكم في جهة والشعب المصري في جهة أخرى ولم يكن يربطه بالشعب سوى علاقة سطحية من ولاء الدولة ونظامها والشريعة الإسلامية ورغم عدم الشعور بالتباين القومي بين الحكام والمحكومين فقد كانت القوى التحتية وغالبيتها من العرب المغلوب على أمرها والمحرومة من كل شيء[5] .

---

[1] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص، 189.

[2] وداد زوبيري , **مذكرة حملة نابليون بونبرت على مصر 1798-1801** , مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر , تاريخ معاصر , جامعة محمد خيضر , جزائر , بسكرة , 2014.2015 , ص 33 .

[3] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص، 190

[4] إلهام محمد ذهني , المرجع السابق , ص، 192.

[5] وداد زوبيري , المرجع السابق , ص 33.

في حين أن القوى الفوقية الحاكمة كانت تستحوذ على مغانم الحكم وتتمتع بالجاه وتستبد بالشعب [1], وترتب على هذا كله تدهور الأحوال في مصر فقد أهمل الحكام شؤون البلاد وتدهورت الصناعة والتجارة وابتليت الزراعة لعدم الاهتمام بالري أو الاستقرار حيث لم يهتم المماليك إلا بجمع الأموال من الأهالي والأجانب وأيضا الثروات للتمتع بحياة البذخ فساد الاضطراب وعمت الفوضى وانتشرت المجاعات وضعفت وسائل الدفاع في الثغور وفي داخل البلاد [2] .

حيث قال اوليفيه : " مصر بلا دفاع " [3] , فأصبحت مصر لقمة سائغة أمام الفرنسيين عند مجيئهم إلى مصر عام 1798 وقد عبر الجبرتي * عن هذه الأوضاع في لأحداث سبقت مجيء الحملة الفرنسية فقال عنها : (1795/1796م) : " لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتني بتقييدها سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم " [4] .

فسائت أحوال البلاد في شتى المجالات و كان الشعب في أتعس حالاته , حيث عان من الجهل و الفساد و الشتات [5]

أما الرحالة ميليه فنرى كمية تحامل في نقده على المجتمع المصري سواء كان ذلك في الإسكندرية أو القاهرة فيقول ميليه عن أهل الإسكندرية: " ولا تلقى فيهم رأفة , ولا ينفع الغريب في معاملتهم .. " [6]

كما تحدث الرحالة جون أنتيس عن عيوب المجتمع المصري من بينها الرشوة و الفساد : " لا يمكن عمل أي شيء في هذا البلد بدون تقديم الهدايا " . [7]

إذ وضع الرحالة انتيس هذه المقارنة عندما يقول: " وإن المصريين القدماء كانوا علماء حقيقيين في الفلك , اما معاصروهم فهم علماء فى التنجيم والدجل" , وشتات بين حالهم وحال أجدادهم الفراعنة , وقد فسر أسباب

---

[1] عصام محمد شبارو , المرجع السابق , ص 18 .

[2] Carre , op , cit , P , P115 .

[3] ثروت عكاشة , المرجع السابق , ص 76-77 .

* **الجبرتي** : عبد الرحمان الجبرتي مؤرخ مصري ولد 1754 وتوفي في 18 جوان 1825 واد في القاهرة في أسرة ثرية من أصل أيوبي ودرس بالأزهر » عمل مع مرتضى الزايدي في جمع سير عظماء سوريا ثم عين بعد دخول قوات نابليون مصر كاتبا بلجنته وخدم محمد علي كرئيس للمذهب الحنفي : توفي أعمى بعد وفاة أحب أبنائه له , ينظر رؤف سلامة موسى ، ص 260.

[4] لطف الله , المرجع السابق , ص 57 .

[5] محمد صبري , **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم** , ط1 , دار الكتب المصرية , القاهرة , 1926 , ص 23 .

[6] جون أنتيس . **مذكرات رحالة عن المصريين** , تر : سيد أحمد علي الناصري , ط 1 , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , 1997 , ص 40 .

[7] نفسه , ص 9 .

انحطاطهم الحضاري إلى هذه الدرجة التي تدعو للرثاء , بأن نظام الحكم القائم على الطغيان الشرقي حرم الناس من حقوقهم المشروعة في التعبير عن أنفسهم؛ وتذوق الفنون الجميلة , وحرمانهم من إشباع غريزة المعرفة وإعاقتهم عن تحسين أحوالهم الاقتصادية, ويقول: «كل ذلك يرجع إلى سوء تنظيم البلاد , حتى إن المعدمين منهم راضون وقانعون بحياتهم التعسة المزرية بالرغم من أنهم يعيشون قي قلب فردوس الأرض». [1]

ويبلغ به اليأس حد القول: إن المصريين غدر مؤهلين لحكم أنفسهم بأنفسهم, وأن الحل هو وقوع مصر في حوزة دولة كبرى متحضرة وقوية, تعمل على إصلاح أحوالها وتحديثها أو أن يظهر من بين المصريين بطل قومي متسلح بسلطات مطلقة , ليمزق الأطماع البالية و ينفض عنها التراب , و يقوم بحركة إصلاح جذرية , على نحو ما فعل بطرس الأكبر بالروس . [2]

3- الوضع الثقافي :

أما فيما يخص الحياة الفكرية لا نعجب إذا قرأنا وصف الرحالة الأوروبيين الذين وفدو على مصر في القرن الثامن عشر أمثال سافاري و فولني , و غيرهما . قال فولني يصف الحالة العلمية في مصر " الجهل عام في هذه البلاد مثل سائر تركيا , و هو يتناول كل الطبقات , و يتجلى كل العوامل الأدبية و الطبيعية , حتى الفنون الجميلة .." [3], وحتى العلم , و حتى الجامع الأزهر لم يكونا قي القرن الثاني عشر هجري (الثامن عشر ملادي) في حالة طيبة مبشرة , بل شملتهما موجة من الركود و الجمود .[4]

و عبر الرحالة أوليفيه فقد كتب " مصر هي الإنحطاط و الجهل و البأسو الطغيان , إنها تنحني دائما أمام الأجانب , و هي من السهل غزوها " . [5] فمن مظاهر ضعفها هو انتشار الطرق الصوفية والحقيقة أن التصوف* الذي انتشر في مصر العثمانية المملوكية على صورة الدروشة , كأداة للهرب من جور الحكام وطغيانهم وهذا ما صار عليه الفلاحين التعساء للتخلص من ظلم و جبروت الملتزمين وجباة الضرائب . [6]

---

[1] نفسه , ص 23 .

[2] نفسه , ص 24 .

[3] جمال الدين الشيال , المرجع السابق , ص 12 .

[4] نفسه , ص 13 .

[5] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 80 .

* **التصوف:** هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة : ينظر أبو القاسم سعد الله , **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954** , ج4 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , 1998 , ص 8 .

[6] عصام محمد شبارو , المرجع السابق , ص 22 .

فالرحالة فولني أشار للحياة العلمية التي أصابها الركود و الجمود لأن الدولة العثمانية فقد ارتكزت على علوم الدين دون علوم الدنيا فقد شجع العثمانيون هذا التيار تدعيما للإسلام عامة والمذهب السني خاصة حيث تقربوا إلى العلماء لما لهم من مكانة ونفوذ لدى السلطات الحاكمة التركية والمملوكية فضلا عن مكانتهم الدينية, فلقد تمتع علماء الأزهر بالأمن والثراء فتمكنوا من صد الظلم على أنفسهم وأحيانا عن الشعب المصري لما يصدر من ظلم حكام أتراك ومماليك ليحتموا تحت راياتهم وهذا ما أدى إلى انتشار الجهل , فأغلقت المدارس وأصبح التدريس في جامع الأزهر * يقتصر على قراءة الكتب القديمة لا أكثر وفي المقابل اختفت العلوم الطبيعية كالطب والرياضيات والكيمياء.

فهذا الركود الطويل دفع مصر و سكانها للإنكماش داخل بلادهم كما تنكمش القوقعة داخل صدفتها , فأصيبوا بالضعف شأن المريض يطول به الرقاد و تطول به الوحدة .

من خلال ما سبق نرى ان كتابات الرحالة و القناصل كانت نواة المعهد العلمي المصري من خلال وصفها الشامل , فقد أسهمت في تعريف القارئ الفرنسي بحضارة مصر و أصبح الرأي العام الفرنسي شغوفا بالتعرف عليها , لذلك أيد الجميع حملة بونبرت على مصر تلك الحملة التي صورت في فرنسا و كأن الغرض الرئيسي منها هو اكتشاف الحضارة التي طالما قرأ عنها الفرنسيون من خلال كتابات الرحالة , لكن لا نستطيع أن ننكر أن وصف علماء جاء أدق و أعمق تدعو فيها لغزو مصر .

و من جهة أخر أدى الحكم العثماني المملوكي في مصر إلى تدهور أوضاعها خاصة منها السياسة إذ حمل نظامهم في طياته عوامل ضعفهم فعاشت مصر ضعفا و عزلة سياسية نتيجة للفساد و انتشار المظالم و الحركات الإنفصالية و حب المماليك للحكم فساءت الأحوال الإقتصادية من زراعة و صناعة و ترتب على ذلك تدني الحياة المعيشية للمصريين من فقر و جهل و أوبئة و ركود علمي و فكري .

* **جامع الأزهر**: بناه جوهر الصقلي , قائد المعز لدين الله الفاطمي عام 359هـ/970م حيث وضع أساس جامع الأزهر بالقاهرة كان الغرض من إنشائه أن يكون مسجدا تقام فيه الصلوات ويعدى فيه المذهب الشيعي ولكن تحول بعد فترة إلى معهد للدراسة , حيث ألقيت فيه الدروس الدينية واللغوية وبمجيء صلاح الدين الأيوبي أغلق الجامع ليمنع دارس المذهب الشيعي , ثم عادت الدراسة لكن بالمذهب السني في عهد الظاهر بيبروس وظل كذلك حتى يومنا هذا ينظر : سعيد أحمد غراب ؛ **قراءة في الأدب العربي الحديث العلم نور والإيمان** ,ط1 , دار الفكر للنشر , مصر , 2011 , ص 34

و نتيجة لموقع الممتاز و تحكمها في أهم الطرق الملاحة التجارية لعصور مختلفة أعطاها قوة تجارية ضخمة رغم الظروف المزرية هذا ما جعل من دول أوروبا الغربية تتنافس عليها بمخططات إستعمارية و بذلك عهدت الحكومة الفرنسية بتكليف الجنرال نابليون بونبرت قائدا لغزو مصر .

المطلب الثالث : الحملة الفرنسية على مصر

قام الرحالة البارون دي توت *بزيارة مصر سنة 1777 م , و غرضه المعلن القيام بأبحاث علمية و فلكية للمجمع العلمي لكن غرضه الخفي هو القيام بدراسة استطلاعية حول سواحل مصر و القلاع الواقعة على ضفات البحر الأبيض المتوسط [1], و استمرت فكرة احتلال مصر من خلال ما كان يكتبه الرحالة الفرنسيين اللذين زارو مصر كما ذكرنا سابقا أمثال فولني الذي نشر سنة 1778 و شرح فيها سهولة احتلال مصر و ضعف المماليك حيث قال : " لا تكلفنا الحملة سوى عدد قليل من الرجال " [2].

كما دعمت فكرة الغزو التقارير المقدمة قبل الحملة الفرنسية على مصر حيث تقدم القنصل الفرنسي في مصر مجالون يكتب إلى الحكومة في 9 فيفري 1798 م[3] طالبا منها معاقبة المماليك و الإستلاء على مصر و تهديد الإنجليز ف الهند [4], و بعد أيام بعد تقديم ماجالون تلقت حكومة فرنسا تقريرا أخر من تاليران وزير الخارجية و يحتل هذا التقرير مكانة كبيرة في تاريخ حملة نابليون بونبرت على مصر حيث تناول فيها العلاقات التي قامت من قديم بين فرنسا و مصر ثم بين مزايا الإستلاء على مصر و أن الفرصة مهيأة للقيام بالحملة , ثم تطرق

* **فرانسوا بارون دي توت** : ولد في شاماييني سنة 1733 ,كان موظفا في سفارة فرنسا في الأستانة وعين قنصلا في هجمات الروس أنشأ في تركيا معامل الأسلحة النارية ثم استقال وعاد لباريس ثم عين مفتشا لموانه البحر المتوسط شواطئ سوريا إفريقيا من طرف الحكومة الفرنسية ينظر: إبراهيم رمزي , **كلمات نابليون** , ط1 , مؤسسة الهنداوي لتعليم و ثقافة , جمهورية مصر العربية , القاهرة 2014 , ص89.

[1] محمد رفعت , مرجع سابق , ص 22 .

[2] نفسه , ص 23 .

[3] أحمد عبد العزيز علي عيسى , **تاريخ العرب الحديث و المعاصر** , ط1 , دار الفكر , عمان , الأردن 2010 , ص 173 .

[4] عبد العزيز نوار , **تاريخ العرب المعاصر مصر و العراق** , دار النهضة العربية ,بيروت , 1983 , ص 74 .

إلى وسائل تنفيذ الحملة و دعا إلى احترام الشعب المصري من حيث التقاليد و العادات و الشعائر الدينية و غيرها , حيث قال تاليران في خطابه لنابليون في 13 سبتمبر 1798 م " أن مصر كطريق تجاري سيعطينا تجارة الهند و بالإستلاء على مصر نستطيع القيام بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح " . [1]

كان من أثر كتب الرحالة لمصر و تقارير القناصل الفرنسية أن نال موضوع غزو مصر إهتمام الحكومة الفرنسية و خروج الحملة من مرحلة النظر و التفكير و دراسة لمصر إلى حيز العمل و التنفيذ و أصدرت قرارها التاريخي بوضع جيش الشرق تحت قيادة نابليون بونبرت في 12 أفريل 1798 م . [2]

كانت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت أول غزو أجنبي تعرضت لها مصر منذ أيام الحروب الصليبية وقد أعدت فرنسا هذه الحملة في سرية تامة سمي الجيش المشترك في هذه الحملة باسم جيش الشرق [3] فمنذ 5 مارس 1798 كانت الاستعدادات قد بدأت لتجهيز الحملة 12 أفريل 1798 المقرر إرسالها إلى مصر وبدأ الجيش يتجمع في الشواطئ الجنوبية تحت اسم الجناح الأيسر لجيش انجلترا تضليلا للعدو أي بريطانيا [4] .

أما نابليون فقد أخذ بعد إقرار الحكومة يعد معدات الحملة بكل جهد وقوة فاختار معظم جنوده من جيش إيطاليا الذي خاض به المعارك وأحرز به الإنتصارات » وضم إليهم بعض كتائب من جيش الراين و بذلك تكونت الحملة من 36000 مقاتل [5]وجهز حملته أيضا بمطبعة فجمع أحرفا عربية وفرنسية ويونانية وعهد بإدارة هذه المطبعة إلى أحد المستشرقين لأعضاء اللجنة العلمية وعين كاتم سره وترجمانه فنتور مفتشا عاما لها بحيث لا يطبع بها شيء إلا بأمره شخصيا وكانت تطبع منشورات ومطبوعات نابليون في هذه المطبعة [6] .

كما اصطحب معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا والفلك والأدب والكيمياء والإقتصاد السياسي والأثار والمعادن والجسور وطائفة أخرى من رجال الفنون فبلغ عدد هؤلاء 146 عضوا مابين عالم وأديب و مهندس [7] , وأتم نابليون الإعداد للحملة وأصبحت جاهزة للتحرك في موانئ

---

[1] حسين مؤنس , **الشرق الإسلامي في العصر الحديث** , ط1 , مطبعة الحجازي , القاهرة , مصر , ص 78 .

[2] أحمد عبد العزيز , المرجع السابق , ص 174 .

[3] زين العابدين شمس الدين نجم , **تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر** , ط1 ظو دار المسيرة , عمان , 2012 , ص 65 .

[4] اسماعيل أحمد ياغي , **العالم العربي في التاريخ الحديث** , ط1 , مكتبة العبيكات , الرياض , السعودية , 1997 , ص 207 .

[5] أحمد عبد العزيز , المرجع السابق , ص 175

[6] فرج محمد الوصيف , **مصر بين حملتي لويس و نابليون .** ط1 , دار الكلمة , مصر , 1998 , ص 40 .

[7] أحمد عبد العزيز , المرجع السابق , ص 176 .

جنوة * طولون *وأجاكسيو وسيفيتافكيا وكانت تتكون من ثلاثمائة سفينة يحرسها أسطول مؤلف من 55 سفينة بحرية بقيادة برويس الذي يتولى القيادة من السفينة تسمى أوريان (بمعنى الشرق) [1]أو مركب نصف الدنيا كما كان يسميها المصريين لضخامتها لأنها كانت تحمل على ظهرها ما يقرب من 120 مدفعا[2].

و منذ قدوم الحملة الفرنسية لمصر أظهر الجنرال بونابرت عند دخوله القاهرة تقربه إلى العلماء واحترامه لعادات الأهالي وقام بتنفيذ ما أسماه بعض المؤرخين بالسياسة الإسلامية الوطنية وأظهر بونابرت إهتماما بالإحتفال بالأعياد الوطنية أو الأعياد الإسلامية مثل الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وبشهر رمضان وبفيضان النيل وأصدر أوامره المشددة باحترام جنود الحملة لعادات الأهالي وتقاليدهم.

كما أولى العناية بتعمير البلاد حيث هدم أبواب الحارات والأزقة بشكل يسمح لقواته بسهولة الحركة في القاهرة كما أمر بضرورة تنظيف الشوارع ورشها وإضاءتها ليلا , كما شهدت القاهرة أنواعا جديدة من النشاط الاجتماعي مثل خروج الرجال مع السيدات للتنزه وكذلك إنشاء المطاعم ودور الشراب وهي أنواع غير معروفة لدى المصريين فنظروا إليها على أنها طفرة ، وتحمل من السوء أكثر مما تحمل من الخير وان كانت تمثل تطورا حتى وإن كان دخيلا على مجتمع القاهرة[3].

ومن الجوانب الإيجابية للحملة الفرنسية اختفاء الطبقة العثمانية الحاكمة بمجرد دخول القوات الفرنسية إلى القاهرة وحتى القاضي التركي فإنه استبدل في أول فرصة بقاضي قضاة من المصريين أما بالنسبة للمماليك فإن مكانتهم الاجتماعية قد ضعفت بشكل واضح نتيجة لخروجهم بعيدا عن مناطق استغلالهم , ونتيجة لضياع جزء كبير من ممتلكاتهم , وكان هذا تغييرا واضحا بالنسبة للمستوى الإجتماعي الذي شبه المماليك وتغييرا واضحا بالنسبة للخط الذي ساروا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أي قبيل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر.

أما الطبقة الوسطى والتي كانت تشمل العلماء والمشايخ والتجار فكانت المقومات المادية لعمالهم تمكنها من النمو في وقت الحملة ولكن المقومات المعنوية لهذه الطبقة تزايدت , وفي تضامن مع الطبقة الشعبية وعلى حساب الطبقة العليا التي قلت هيبتها وضعفت سلطتها في البلاد.

---

* **جنوة** : مدينة سكانها حوالي 588450 نسمة سنة 2008 عاصمة إقليم ليجوريا الشمال الفرنسي إيطاليا و تعتبر الميتاء الرئيسي لإطاليا , أنجبت بعض مشاهير البحار أشهرهم كولوميس , ينظر : مولا علي , **الموسوعة العربية الميسرة** ' ط1 , شركة أبناء شريف أنصاري , بيروت , لبنان 2010 , ص 1236 .

* **طولون** : مدينة سكانها حوالي 169050 نسمة سنة 2008 م بقسم فار جنوب شرق فرنسا , بدأت شهرة نابليون بونبرت باستردادها من انجلترا , ينظر : المرجع نفسه ص 2175 .

[1] محمد فرج , المرجع السابق , ص 16 .

[2] حسن جلال , **حياة نابليون .** ج1 ,لجنة التأليف و الترجمة و النشر (سلسلة المعارف العامة) , ص 175 .

[3] جلال يحي , **مصر الحديثة** , المرجع السابق , ص 532 .

أما بالنسبة للطبقة الشعبية من صناع وصغار وحرفيين وفلاحين فهي التي دفعت ثمن العمليات الحربية ودفعت القيمة الفعلية للغرامات والإتاوات وذلك من أجل طرد المحتلين الأجانب من بلادهم.

حاول الفرنسيون تحويل مصر إلى باريس الصغيرة على حد قولهم بتصميم المقاهي والمطاعم ذات الموائد والكراسي على الطراز الفرنسي بدلا من الجلوس على المصاطب أو المقاعد الحجرية ثم مشارب البيرة أو البارات. [1]

كذلك تغير المفاهيم عند المرأة المرأة المصرية و التطلع إلى الحرية التي تتمتع بها المرأة الفرنسية من خلال السماح لها بالخروج من المنزل والتجول في الأسواق بحرية فتخطت نظام الحريم السائد هناك ومنحتها فرصة اكتشاف العالم الخارجي من حولها وأحست بأهمية وعمق العلاقة التي تربط المرأة بالرجل؛ أما في الجانب الاخر للمرأة المصرية اصطدمت بالمؤشرات الجديدة و تعد تحديا و خروجا عن العادات و التقاليد و القيم و المبادئ الإسلامية التي تحافظ على مكانتها . [2]

صحيح أن الحملة الفرنسية عادت بالإيجاب على مصر و يظهر ذلك جليا من خلال ما سبق على المستوى الإجتماعي لكن هذا لا يخفي حقيقة أنها حملة استعمارية تضع فرنسا مصالح فرنسا كأساس لما ستقوم به من أعمال في البلاد . هذا ما علله بعض الكتاب الفرنسيين اللذين عاصروا بعض من أيام الحملة نذكر منهم الكاتب شاتو بريان الذي عاصر و مر بمصر فمكث فيها يومين إبان احتلالها ألف كتاب **المسار من باريس إلى أورشليم** تكلم عن الحملة الفرنسية و ذكر أن نابليون نفسه شرح الهدف من حملته التي قام بها احتلال مصر و ما جاورها و بين أن الهدف الرئيسي من الحملة كان إضعاف الكيان المصري .[3] و في نفس السياق يوجد المؤلفان جان ميز و جورج ليجان اشترك هذان المؤلفان في تأليف كتاب جعلا عنوانه : **في بلاد نابليون–مصر** , قسما الكتاب إلى جزئين و كلاهما تحدثا عن الحملة من وجهة نظر غربية , تكلم الكاتب ميز في الجزء الأول من الكتاب أن الفرنسيين بعد إحتلالهم مصر أثقلوا كاهل أهلها بالضرائب الباهضة مما زاد من بؤسهم و ذكر أن نابليون إستعمل المكر و الدهاء في إستيلاب أموال الحجاج إلى بيت الله الحرام , [4] وفي الجزء الثاني تعرض جورج ليجران لبعثة العلماء و مضمونة أن البعثة كان واجبها الأول خدمة الجيش و أهدافه , وذكر أن بونابرت كان يحث حكومة الإدارة في فرنسا على أن تعهد إليه بجيش من اختياره و لجنة من العلماء وتعهد لها بالاستيلاء على مالطة

[1] أحمد عبد العزيز علي , المرجع السابق , ص 201 .
[2] نمير طه ياسين **, تاريخ العرب الحديث و المعاصر** , ط1 ,دار الفكر , عمان2010 , ص 64 .
[3] فرج محمد وصيف , المرجع السابق , ص ,ص 94 95 .
[4] نفسه , ص 96 .

لحصانتها والإستيلاء على مصر الخصبة , فالحملة إذن استعمارية بحتة . كذلك المؤلف باستر , و كتابه **بونبرت في مصر** وهو من عنوانه حديث في نابليون والفرنسيين في مصر إبان احتلالهم لها حيث نظر باستر للحملة شأنه شأن الكتاب الغربيين وخاصة الفرنسيين على أنها حملة صليبية في المقام الأول واعترف بأن حصاد الحملة كان هزيلا . كما كتب المؤل بيتو ميشان عام 1966 كتاب بونبرت في مصر أو الحلم الذي لم يتحقق شرح فيه أن حياة نابليون السياسية الحربية كلها كانت من أجل السيطرة على الشرق بطرقه المختلفة و بدأ كتابه بإشارة تاليران إلى ضرورة غزو مصر قائلا : " كانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية و يجب أن تصبح كذلك بالنسبة للجمهورية الفرنسية " , واعترف بينو بأن الديوان الذي عقده نابليون بمصر كان لصالح الجيش الفرنسي وليس لصالح المصريين إذ بواسطته كانت الأوامر تصل إلى عامة الناس. وكان يرى – حسب تعبيره – أن التطرف الديني الإسلامي كان بسبب إنهزام الفرنسيين فهو يعد مقاومة المحتل الأجنبي تطرفا و تعصبا. و في الأخير المؤلف جورج سبيلمان و هو ضابط فرنسي تولى مسؤوليات عسكرية وسياسية في أرض الإسلام لأكثر من ربع قرن , وقد منحه هذا العمل في بلاد المسلمين ما لم يمنح لغيره وقد أتاحت له هذه الفرصة دراسة البلاد التي وطئتها أقدام الفرنسيين من كتب و إن كان الهوى قد سيطر على كتاباته شأنه ذلك شأن المؤرخين الغربيين , و الكتاب الذي ألفه ونشر عام 1969 بعنوان نابليون والإسلام قص فيه علاقة نابليون بالدول الإسلامية في الشرق العربي و أحلامه باستعمارها, وذكر سبيلمان أن هدف الحملة كان تحقيق الرواج التجاري لفرنسا و امتلاك زمام الأماكن الإستراتيجية التي تتميز بها مصر . كما إعترف بأن إستعانه نابليون بالعلماء كان لسد حاجة الجيش أي ليس لإبناء مصر. وبين أيضا أن هدف نابليون من غزوه لمصر هو تحويل البحر المتوسط إلى بحر فرنسي حتى يتسنى له غزو البلاد التي تفصله عن الهند كي يصل إليها. [1]

كانت الحملة الفرنسية على مصر بالنسبة للمجتمع المصري بمثابة منبه ايقضها من سباتها الطويل و عرفتها على المكتشفات و الحضارة الغربية , و تعد الحملة أول احتكاك بين الشرق و الغرب في العصور الحديثة أي لقاء بين الحضارة العربية الإسلامية و حضارة الغرب المسيحية و ما نتج عنه من فوائد لكل الطرفين , حيث تعرف المصريون على الحضارة الغربية بمزاياها و مساوئها و عرفوا بعض العادات الجديدة من بينها حرية المرأة هذا من جهة , لكن صفوة القول تعتبر الحملة الفرنسية على مصر خطرا هدد كيان مصر , فهي جزء من الإستعمار و لم تأتي إلى الشرق إلا لشيئين و هما محاربة الإسلام بالعادات الغربية الدخيلة , و نهب ثروات العالم الإسلامي .

[1] نفسه , ص,ص 100 102 .

المبحث الثالث : العمارة و الأوقاف ف القرن ثامن عشر

للمدن العربية تحت الحكم العثماني تاريخ كبير من النمو والتطور بداية من القرن السادس عشر حتى الحملة الفرنسية على مصر وقد كانت العمارة المصرية مميزة عن باقي الولايات العثمانية ، وقد ساهمت الدولة العثمانية في تطور العمارة المصرية بشكل مباشر وغير مباشر، فقد تميزت هذه الفترة بالعديد من المنشئات الاجتماعية ومن خلال المنشئات التي كانت قائمة آنذاك ومن خلال المرافق التي كانت متوفرة في ذالك الزمن نستطيع دراسة المجتمع المصري في طريقة استثماره للأموال ومعرفة عقلية المجتمع فعلى سبيل المثال من خلال تصميم المنازل نتمكن من التعرف على العائلات المصرية إن كانت محافظة أم منفتحة ، كما كان للعثمانيين تأثير بالغ في العمارة المصرية فقد ساهموا في نشر الأوقاف بصفة كبيرة من أجل تسبيل المنفعة العامة والتي سنعرف فيما بعد مساهمتها في نشر العلم والتعلم ، وكل هذا يدل على الوظيفة المتكاملة لهذه المنشآت في تسهيل حياة الفرد الذي يسكن في مصر.

المطلب الأول : العمران و العمارة المدنية

1- الحمامات :

علل الرحالة سفاري وجود إعداد كبيرة من الحمامات العامة بسبب ارتفاع حرارة الجو ف مصر , كذلك لأن ديانة المصريين تحث على النظافة , و في مقارنة لسفاري بين حمامات مصر و فرنسا , شبه حمامات فرنسا بالسجن لضيقها بينما الحمامات المصرية واسعة جميلة , [1] و الحمامات العامة في مصر هي أماكن لقاء يقضي فيها المرء ساعات طويلة للراحة ولتجاذب أطراف الحديث إلى جانب عمليات الغسل , ولقد تميزت القاهرة بالحمامات عمومية نظيفة ومنظمة , حيث كانت معظمها تحتوي على أحواض للاستحمام مزينة برخام لا يفسد عكس حمامات البلاد الأخرى مع توسطها نافورة وبعض مواد التدليك, [2] و رغم وجود أعداد كبيرة من الحمامات العامة الا أن الفقراء يتوجهون للإستحمام في النهر للطهارة و لأنهم لا يملكون المال اللازم للذهاب إلى الحمامات ,و ذكر الرحالة ميليه تتخذ النساء من الذهاب للحمام ذريعة للخروج من منازلهن [3], و عند خروج المرأة من الحمام ترتدي أفضل أنواع الثياب و تضع المناديل المصنوعة من الهند على رأسها و تسير إلى الحمام و يصحبها عبيد [4] .

و أحب سفاري بالحمامات في مصر و بطرق التدليك فيها فبعد الحمام " نشعر بالدماء تجري في عروقنا " , كما أنها تساعد على اختفاء بعض الأمراض خاصة الروماتيزم و الأمراض الجلدية , و هي لا تصيب الجهاز التنفسي بأية ضرر .[5] وإضافة إلى ذلك كانت هناك حمامات خاصة في منازل الأثرياء مثل: الأمراء , العلماء , الأغنياء وحتى التجار.. [6] .

ومن جهة أخرى نجد أن القاهرة احتوت حوالي 77 حمامات 28 منها وجد بالقاهرة الفاطمية وحمامان بالحسينية و 30 حماما جنوبي باب زويلة , إضافة إلى 17 حماما في غربي الخليج ومنها نجد: حمام بشتاك , حمام

---

[1] Savary , opp , cit , P 124 .

[2] نسيمة مسوس , نورة سحاب , **المجتمع الإسطنبولي في القرن 16 م /10 هـ** ,مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر 1453-1924م ,جامعة المدية , ص 45 .

[3] Maillet , op , cit , P208 .

[4] Savary , op , cit , 123 .

[5] الهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 332 .

[6] ميكل ونتر , **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني** , تر: بشير سباعي , ج1-ج2 , دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع , القاهرة , 1992م , ص 348 .

الحسينية , حمام يزبك , حمام السكرية. [1], فكان مرتاد الحمام يتعرض أولا للبخار قبل أن يغمس جسده ف الماء ليقوم بتدليكه بعد ذلك خادم الحمام؛ هذه بالنسبة للرجال؛ أما النساء فكن لا يخرجن مطلقا إلا للذهاب إلى الحمامات كل أسبوع مع استعراض كل ما هو مباح لمن من زينة كالعطور وارتداء أجمل ملابس. [2]

2- الأسبلة [3]

ذكر علماء الحملة الفرنسية الأسبلة على أنها منشات مخصصة لتزويد الشعب بالمياه مجانا و هي كثيرة العدد , كانت مياهها تجلب من النيل محمولة على ظهور الجمال , كما نجدها مزينة بأعمدة من الرخام وشبكات من البرونز المصنوعة بمهارة , و خصص الطابق العلو فيها لكتاب مجاني يعلم فيه القراءة , و الكتابة و الحساب فقط , و يتم الإنفاق عليه من الوقف المخصص للسبيل ذاته , و التعليم فيها على نحو متزامن , اذ يتعلم التلاميذ القراءة و الكتابة في وقت واحد [4]ويبلغ عددها حوالي ستين بيلا , منها نجد: المؤيد , سبيل الأزهر , وسبيل عبد الرحمان كيخيا [5], ...إلخ , وعليه فالأحواض هي الأخرى لا تقل أهمية ونفعا للسكان والتِي كانت تستخدم في سقاية الخيل والحمير وغيرها من الدواب , و هي أيضا مدعومة بالأعمدة ,كما أنها بالمثل فخمة البناء .[6]

3- التكايا

وذكر الرحالة الفرنسيين في كتاباتهم أنه عرف نوع أخر في العمارة المدنية لمصر هو التكايا , أو المنازل التي يتلقى فيها المسافرون والمرضى واجب الضيافة والإقامة مجانا , وإن لم يبقى منها الآن سوى ملجأ واحد ينطبق عليه هذا الاسم » وهو " المارستان " ويوجد به حوالي خمسين سريرا , ويقبل فيه مرضى العقول فقط [7].

4- المنازل[8] :

[1] أيمن فؤاد السيد , **القاهرة خططها و تطورها العمراني** , ط1 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر 2010 , ص 225 .

[2] علماء الحملة الفرنسية , المصدر السابق , ص 27 .

[3] أنظر للملحق رقم 1ص 76 .

[4] علماء الحملة الفرنسية , المصدر السابق , ص 27 .

[5] هو الأمير عبد الرحمان كتخدا الذي يعد من أعظم الأمراء في النصف الثاني من القرن 18 م ظو تمتع بمكانة كبيرة و نفوذ عظيم وشهرة واسعة و ثروة طائلة ,كان رقيق الإحساس , ذواقا للحياة المترفة ما دفع بحركة الإنشاء و التجديد و التعمير دفعة قوية نشطة , لقب صاحب , الخيرات و العمائر من بين أعماله " العمائر الشهيرة بالأزهر " و غيرها , ينظر : سليمان بن خليل بن بطرس بن جاويش , المرجع السابق , ص , 118 .

[6] محمود حامد الحسيني , **الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517-1798م** , مصر , 2008 , ص 4 .

[7] علماء الحملة الفرنسية , المرجع السابق , ص , ص 26.27 .

[8] الملحق رقم: 5 ص 80

قدم الرحالة الفرنسيين من خلال عملهم الضخم المشترك و هو كتاب " وصف مصر " وصفا للتقسيم الداخلى لبيوت القاهرة , فليس ثمة توزيع منتظم إلا في أقل القليل منها , ويندر أن تكون الحجرات في الشقة الواحدة على مستوى واحد , مما يقتضي دائما صعود أو هبوط عدد من الدرجات عند الانتقال من واحدة إلى أخرى , وفى المنازل الكبيرة يوجد بالطابق الأول قاعة كبيرة مفتوحة يسمونها «المندرة» » , وفى هذه القاعة تتم لقاءات صاحب البيت , ومنها يستطيع رؤّية كل ما يحدث فى الفناء. [1]

وأكبر حجرة بالطابق الأرضي مصممة على شكل حرف T ومبلطة بالرخام , وتزين وسطها فساقي المياه , وهى مجهزة بمقاعد أو أرائك عريضة . وتجعل الضيوف باتجاه الشمال , ما يساعد على انسياب الرياح من الجهة الشمالية إلى ممرات المنزل وأقسامه , ويزين الحوش بأعمدة الرخام .. إلخ , وكذلك الحدائق الواقعة خلف القسم الرئيسي للدار بما فيها من تكعيبات العنب والعروش التي تزينها الخضرة الزاهية , والإسطبلات المعتنى بها , وأخيرا هذا الحشد الكبير من الخدم لتلبية كل ما يحتاجه رب الدار . [2] امتازت القاهرة بجمال المنازل[3] خاصة من الداخل[4] حيث كانت معظم منازلهم تبنى من طابقين أو ثلاثة طوابق غير أن هناك منازل مكونة من أربعة طوابق وذلك في الأحياء المكتظة كانت مبنية من الطوب ذات لون قاتم من الخارج أما من الداخل فكانت الجدران تغطى في معظم الأحيان بطبقة جميلة من الجبس ناصعة البياض أو نطله بطبقة من الجيرة وفيما يخص الشرفات والنوافذ فكانت تغلق طيلة النهار بشبكات ضيقة جدا من الخشب المخروط تسمح بدخول الضوء مع الإبقاء على برودة الحواء نكون مزينة بتشكيلات من الخشب المخروط في مهارة وصنعة متقنة من الداخل.[5]

5- القصور

وعدد الرحالة القصور هي الأخرى والتي تميزت من النظرة الأولى ببناء أجمل خاصة قصور البكوات والكشاف وكبار الشيوخ و الأغا و الوالي و القاضي و بعض أصحاب الوظائف الأخرى عن منازل البسطاء من الخواص [6] , تتميز من النظرة الأولى ببناء أجمل وبمظهر أفخم , وبمساحة أوسع . ويبنى الطابق الأرضي من حجارة منحوتة يتخذ كل مدماك منها عادة اللون الأحمر أو الأخضر على التوالي . وتظهر في كل طابق مما يلي ذلك

[1] علماء الحملة الفرنسية , المصدر السابق, ص 28 .

[2] نفسه , ص 29 .

[3] أنظر الملحق رقم ...ص...

[4] أندري ريمون , المرجع السابق , ص 62 .

[5] ميكل ونتر , المرجع السابق , ص 29 .

[6] إسماعيل أحمد ياغي , المرجع السابق , ص 84 .

شرفات شديدة البروز [مشربيات] , ذات قضبان من الحديد أو الخشب المخروط , صنعت بمستويات متفاوتة من المهارة [1].

و ذكر فولني ترى في القصور بعض الزينة و شيئا من وسائل الراحة , بلاطها المرقش بالرخام و الخزف الملون مغطى بالنضائد و الحصائر , و على علو ثماني أقدام من الأرض إطار من الصفائح المرصعة بالخزف الصيني و المباني , و الحيطان المرقشة بالآيات القرآنية , و ليس للنوافذ زجاج أو أطر متحركة بل عوارض مشبكه , و ينفذ النور إلى الدور من الساحات الداخلية حيث تعكس أشجار ظلالا خضراء تروق النظر , و ثمة نافذة صوب الشمال أو في أعلى السقف .[2]

6- المستشفيات

تحدث فولني عن الطب في مصر فأكد انتشار الجهل و الأمراض حتى أن الخدم الأوروبيين كانوا يستشارون في الأمور الطبية , وقد افتتح عدد من الأوروبيين عدة صيدليات فى القاهرة حسب ما ذكره الرحالة الفرنسي أوليفيه [3] على أن أشهر مستشفى حرص الرحالة على الحديث عنها هي مستشفى « المجانين » التى تحدث عنها ميلية وقد نسب ميليه بناءها إلى أبن أحمد ابن طولون وكان السبب في بناءها أن أحدى الأميرات أصيبت بالجنون فتم تخصيص قصر لها للبقاء فيه وحراستها وبعد شقائها خصصت القصر للمجانين ليشفوا من أمراضهم [4] , وتقع المستشفى في الشارع الرئيسي من أجمل الشوارع فى القاهرة حيث يوجد مسجد السلطان حسن وحول المستشفى عدة مبان المجانين وكل مريض يخصص له شخص لعناية به وفى المساء قبل النوم يتم عزف الموسيقى ويسمح للمرضى بحرية التجول ساعتين نهارا وبالمستشفى كميات كبيرة من الأدوية والأطباء ويوجد مكان للفقراء ويتم تصنيف المرضى حسب حالتهم وكل مريض مخصص له طبيب معين وكانت هناك شروط لاختيار الأطباء في القاهرة .[5]

7- الشوارع

ذكر الرحالة فولني عن شوارع مصر و القاهرة خاصة و هو يمشي في فيها , حيث عبر "منظر المكان في إطاره الرائع , و ذلك النخل المنتصب كالظلال و تلك البيوت ذات السطوح و كأنها لا سقوف لها , و تلك السهام

[1] علماء الحملة الفرنسية , المصدر السابق , ص 28 .

[2] فولني , المصدر السابق , ص 151 .

[3] هاملتون جب , المرجع السابق , ص ,ص 310.311 .

[4] Maillet , op , cit , P 202 .

[5] إلهام محمد علي ذهني , المرجع السابق , ص 331 .

الدقيقة تعلو المآذن و تحمل الشرفات في الهواء ,كل ذلك يدل المسافر على أنه في عالم أخر " [1]حيث أعجب فولني بأزقة مصر فترة مكوثه فيها , فأخذ يدون كل ما أنصبت إليه عينه ,ووصف فولني الأزقة الضيقة غير المبلطة و منعرجه , يزدحم فيها الناس و الجمال و الحمير و الكلاب فيثور فيها غبار مزعج و كثيرا ما يرش الأفراد الأرض أمام أبواب منازلهم فيعقب الغبار الوحل و الأبخرة كريهة الرائحة .. " [2],

ووصف الإسكندرية معبرا في ذلك بقوله : " لا تكاد تخرج من المدينة الجديدة صوب البر , حتى يقابلك منظر أرض فسيحة الجنبات تغطيها الخرائب , و إنك لتمشي مسافة ساعتين , متتبعا خطين من الجدر و الأبراج , و هي أسوار الإسكندرية القديمة , . فالأرض مكسوة بأنقاض القبب و الجدران و الشرفات, و تجتاز ساحة داخلية واسعة تثلمها الحفائر و الآبار , و يقوم فيها ركام الجدران و العمد القديم . و هناك الجبانات الحديثة و النخيل و الصبار حيث لا ترى من الكائنات الحية إلا بنات أوى و البواشق و البوم .. " . فقد أفاض فولني في وصف جمال شوارع مصر و القاهرة و الإسكندرية .[3]

و واصل وصفه حتى القاهرة معبرا في ذلك بقوله : " انك اذا سمعت بالقاهرة الكبرى يخيل إليك أنها عاصمة شبيهة بعواصمنا عل الأقل , فليس في القاهرة بنايات فخمة عامة كانت أو خاصة , أو ساحات منتظمة أو شوارع مخططة , تظهر فيها روائع الفن البنائي . و في ضواحيها تلال غبراء من الأنقاض المتراكمة يوما بعد يوم , تقوم حيالها أقذار الطرقات التي تنفر العين و الشم في وقت معا " . [4]

أحب فولني فولني بلاد الرشيد على عكس الإسكندرية و القاهرة ووصف نهر النيل في قوله : "انك لا تدخل مصر حقيقة حتى نطأ بلاد الرشيد حيث تهجر الرمال التي تتميز بها إفريقيا , وتنتقل إلى تربة خصبة سوداء هي خاصة مصر المميزة . وعندئذ , ولأول مرة تقع العين على مياه النيل الشهير , فترى مجراه بين ضفتين عموديتين , وكأنه نهر السين بين اوتوي Auteuil و باسي Passy. اما غابات النخيل التي تجاوره , والجنائن التي ترتوي بمياهها واشجار الليمون والبرتقال والموز والدراق وغيرها , فإنها تسبغ على الرشيد من اخضرارها الدائم جمالاً يستمد رونقه خاصة من مقابلته بالإسكندرية وبالبحر الذي تركه المسافر" [5] .

8- القناطر

[1] فولني , المصدر السابق , ص 13 .
[2] نفسه , ص 150 .
[3] فولني , المصدر السابق , ص 14 .
[4] نفسه , ص 150 .
[5] نفسه , ص 17 .

و ذكر الرحالة الفرنسيين القناطر يقولون هي كثيرة سواء على الخليج الذي يخترق المدينة من الوسط باتجاهها الطولي , أو فوق القناة التي تمتد بطول الجهة الغربية . وتبنى هذه القناطر من الحجارة , وهى عبارة عن عقد واحد . ويوجد ما يقرب من العشرين قنطرة , ليس منها ما يتميز بشيء يذكر . وترتفع حواجز القناطر المقامة داخل المدينة , وتتخذ العقود شكل الأقواس القوطية بحيث تصعب رؤّية الخليج من أي مكان بالمدينة , ويبلغ عرض الخليجين عشرة أمتار فى المتوسط : يتخذ الأول بدايته من فرع النيل الصغير المواجه لجزيرة الروضة عند أسفل خزان مجرى العيون , ومن هذا الخليج يتفرع الخليج الثانى . ومهمة مجرى العيون هى توصيل مياه النيل إلى القلعة , وهو ينفذ إلى القاهرة عبر باب القرافة , حيث يصل بالقرب من ساحة الباشا . [1]

9- **الأهرامات** :

دهش فولني خلال رحلته لمصر من ضخامة الأهرامات المصرية و عبر عن صلابتها , في قوله " إن أيدي الزمن والبشر التي تداولت على تخريب الآثار القديمة لم تستطع حتى الآن أن تنال من الأهرام منالا " , فان رسوخ بنيانها وضخامة هياكلها قد وقياها وهما كفيلان بان يتخطيا الدهور . وقد تحدث الرحالون عنها بحماسة لا مبالغة فيها ولا مغالاة , حيث أضاف فولني في وصفه للأهرامات على أنها الجبال المصطنعة تبدو للناظر على مسافة عشرة فراسخ , ويلوح لك أنها تبعد عنك كلما اقتربت منها , و كلما ابتعدت عنها حتى يخيّل إليك انك أصحبت عند إقدامها . ثم تصل إليها , ففي ارتفاع ذراها وسرعة منحدرها واتساع دائرتها وفخامة قاعدتها . [2]

و على الرغم من إعجاب فولني بضخامة الأهرامات إلى أنه يرى أنها مضيعة و مشقة في صنعها , حيث ينظر نظرة أسف على صانعها و يعبر في قولة : " و يؤلمك أن تكون امة برمتها تحملت المشاق عشرين سنة لإشادة ضريح لا طائل تحته " , و اعتبر أن هذه الأهرامات و الهياكل العظيمة الضخامة لا تعبر عن عبقرية شعب محب للفنون بمقدار ما هي تدل على عبودية أمة تكابد ما تكابد من هوى أسيادها . [3]

[1] علماء الحملة الفرنسية , المصدر السابق , ص 28 .
[2] فولني , المصدر السابق , ص 177 .
[3] نفسه , ص 178 .

المطلب الثاني : العمارة الدينية

بما أن مصر بلد إنتشر فيه الإسلام وهي ولاية تابعة للدولة العثمانية فقد عرفت بإنتشار العمارة الإسلامية، وقد عرفت مصر نشاطا عمرانيا كبيرا ، وإن كان لايمكن مقارنته مع المنشآت الضخمة التي خلفها العصر المملوكي سواء من حيث أهمية المفاهيم أوإتقان التنفيذ، إلا أن وفرة هذه المنشآت تشهد أن روح الإبتكار في هذا المجال لم تختف إطلاقا مع الفتح العثماني ومع ذلك فالغالب على المنشآت العثمانية أنها جاءت متفرقة منعزلة مع اهتمام حضري أي رغبة في تنظيم الفراغ العمراني بطريقة منظمة [1]، وتمثلت العمارة الدينية في المساجد والجوامع خاصة.

1- الأزهر الشريف[2]

تعتبر بوجه عام العمارة الأكثر تمثيلا للعمارة الإسلامية،[3]وعندما نتحدث عن المساجد فلابد لنا أن نذكر الجامع الأزهر ،وقد أكد مليه روعة وجمال الجامع الأزهر فلا يوجد جامع يضاهيه في فخامته كما تحدث مليه عن دور الأزهر مؤكدا أنه لا يقود مصر فحسب ، وإنما له دور رائد في العالم الإسلامي كله وفيه يتم تعليم علوم الفلك والطب والرياضة والتاريخ وكل دارس له الحق في بعض من الخبز واللحم والخضار فقد كان قادرا على تعليم وإطعام أربعة عشر ألف شخص يوميا ولكن هذا العدد انخفض الأن إلى ألف وأربع مائة شخص فقط[4].

وذكر فولني انتشار الأروقة في الأزهر فأكد أن الرواق السوري في الأزهر كان أنشط الأروقة وعلل ذلك لأن السوريين كان لديهم استعداد للسفر خارج بلادهم أكثر من المصريين فقد توجهوا للجامع الأزهر للتعليم [5]، وهنا تظهر كيف أثرت منافع العمارة المصرية والإسلامية على مستوى تعليم وثقافة المصريين خاصة والعرب عامة .

وأفاض مليه في وصف جمال الجامع الأزهر بأعمدته الرخامية الضخمة وأعمدته من الجرانيت وهو الأن من أجمل وأضخم المساجد[6].

---

[1] فاطمة الزهراء ليماني،مريم رميدي،**دراسة مقارنة بين إسطنبول والقاهرة خلال القرنين 12-13ه/19-19م (المجتمع والعمران أنموذجا)**،م ش م ت دع، س ج ،2019-2020م ، جامعة الدكتور يحي فارس ، المدية، ص 47

[2] الملحق رقم: 4 ص 79

[3] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق ، ص392

[4]Maillet ,op .cit ,p ,198

[5]فولني ، المصدر السابق ، ص 92

[6]Maillet , op , cit , p 192 .

أما سافاري فقد أعجب بمساجد القاهرة ومناراتها المرتفعة ولكنه تعجب من عدم وجود أجراس للتنبيه على الصلاة وعندما سئل أحد العلماء كانت اجابته (إن الأجراس مزعجة ولا تمس القلب وإنها صنعت خصيصا للبهائم وليس للبشر)[1] .

وقد بنيت مساجد القاهرة على نمط واحد فالمسجد مربع كبير من الداخل فناؤها مفتوح وحول المربع العديد من الأعمدة الجميلة[2].

ولما كان فورمون قد اطلع على الحضارة الإسلامية مع اتقانه للغة العربية فقد شرح للقارئ الفرنسي المذاهب الأربعة السنية في مصر وأعطى نبذة عن المذهب الشيعي خاصة في عهد الدولة الفاطمية وأكد احترام وتقديس المصريين للقرآن الكريم فلهم طريقة معينة في القراءة ومحرم عليهم التلفظ بأي خطأ في القرآن كما أكد اعتزاز المصريين بالمذهب الشافعي ويفتخرون بأن صاحب المذهب مدفون في بلادهم.[3]

2- مسجد السلطان حسن

يعد هذا الجامع من أجمل مباني القاهرة والإسلام،والفضل الراجع إلى ضخامته وقبته العالية وطول مئذنته، وعظم اتساعه وفخامته،لايحتوي على نقوش ماعدا زخارف على الطراز العربي منفذهة على الجر الصلب الخشب وحتى البرونز ، لاتوجد بداخله رسومات إلا كتابات مشكلة بحروف كبيرة مذهبة ألوانها بين الأحمر والأصفر، الأزرق وحتى الأخضر ، أما فيما يخص بلاطاته فنجدها مشكلة من فسيفساء ثمينة من الرخام الغني بالألوان.[4]

وفي مدينة القاهرة فقط يبلغ ما تصدق عليه منها صفة الجامع مائتين وثلاثة وثلاثين ، وبخلاف ذلك يوجد مائة وثمانية وخمسون مسجدا صغيرا أو مصلى يطلق على كل منهما إسم زاوية، ومعظم المساجد له مأذنة واحدة أو أكثر أو مايشبه أبراجا شاهقة الارتفاع ، وقد تكون مربعة الشكل أو دائرية ، ويصعد إليها المؤذن خمس مرات ويعتبر جامع السلطان أكثر الجوامع ازدحاما بالمصلين بسبب ضخامته وقبته العالية وطول مأذنتيه وتنوع الرخام الذي أستخدم فيه بكثرة،، وليست ثم نقوش أخرى إلازخارف على الطراز العربي .

---

[1] Savary , op , cit , p , 99 .

[2] إلهام محمد على ذهني ، المرجع السابق، ص 330 .

[3] Fourmont , op , cit , pp 50-54 .

[4] علماء الحملة الفرنسية، المصدر السابق، ص 26 .

وللمسيحين أيضا أدير وكنائس، يسمون الواحد منها دير تستخدمها مختلف طوائفهم التي تضم : الكاثوليك والمسيحيين الأقباط أو المنشقين والروم والأرمن والسوريين،ويوجد في القاهرة ومصر القديمة سبع وعشرون كنيسة مسيحية ولليهود كذلك عشر معابد.[1]

[1] نفسه ،ص27 .

المطلب الثالث : الوقف و أثره على المجتمع المصري

1. الأوقاف و الأثار الإجتماعية :

شرعت الأوقاف في الإسلام بمعناها الدقيق و هي " الصدقة الجارية " , و لذلك ارتبطت الأوقاف الإسلامية منذ نشأتها الأولى في صدر الإسلام بالصدقات , و تتأكد هذه الحقيقة من حديث الرسول عليه الصلاة و السلام , إلى عمر بن الخطاب بشأن أرضه بخيبر , إذ قال له عليه الصلاة و السلام : " إن شئت حبست أصلها , و تصدقت بثمرتها " , و لذا اقترنت كلمة صدقة بالأوقاف , و على ذلك يمكن القول أن الأوقاف قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بصفة عامة , و في المجتمع المصري بصفة خاصة , تبعا لازدهار الأوقاف و انتشارها في ذلك العصر .

و لذكرنا لبعض الرحالة الأوروبيين سابقا اللذين زاروا مصر أمثال فولني , و سفاري و غيرهم في ذلك العصر لاحظوا أن عدد كبير من العوام بلا مأوى في النهار و الليل سوى الطرقات , يهيمون فيها , و أجسادهم شبه عارية , كما دهش بعض الرحالة الأجانب من كثرة عدد الشحاذين بالقاهرة , و كما هو معروف أن المدن المصرية اكتظت بجمهور كبير من الباعة و السوقة , و السقائين , و الفلاحين و غيرهم عاشو جميعا في ضيق و عسر نظرا لغيرهم من الطبقات , و من هنا برزت أهمية الوقف في توفير الرعايا الإجتماعية لتلك الطبقات المحرومة من من أسباب الحياة .

فمن هنا أصبح للطلاب و المعدمين و الأيتام , و طلبة العلم نصيب محدد من ثروة الأغنياء عن طريق الأوقاف , اذ أن من الأركان لنظام الوقف أن يؤول في النهاية إلى جهة بر لا تنقطع , و هي في الغالب جهة الفقراء و المساكين .[1].

و قد أثرت خدمات الوقف في ذلك العصر على المجتمع المصري حيث خففت من الظلم و التعسف الذي عاش فيه عامة الشعب , فضلا عن أنها قامت بدور كبير في مساعدة الناس وقت انتشار المجاعات و الأوبئة و الأمراض و من بين الخدمات التي نظمتها الأوقاف نذكر :

- **المواسم الدينية :**

يوم عاشوراء : التي كانت من عادات المجتمع المصري , و التي ساعدت الأوقاف على استمرار العمل بها , حيث يتم كل سنة من هذا اليوم برسم صدقة من خبز البر , و لحم الضأن , و الحبوب , و العسل , و الحطب

[1] د.أمين محمد , **الأوقاف و الحياة الإجتماعية في مصر** ,ط1 , دار الكتب و الوثائق القومية , القاهرة , 2014 , ص 11

, وأجر من يتولى توزيعها , و يقسم على نصفين , فالنصف الأول يفرق على الطلبة المقيمين , و الأيتام , و النصف الباقي على الفقراء و المساكين و غيرهم . [1]

شهر رمضان :أما شهر رمضان فكان فرصة طيبة للإكثار من الصدقات واطعام الفقراء ومن مظاهر التوسعة في ذلك الشهر الكريم صرف رواتب إضافية لأرباب الوظائف وطلبة العلم , والأيتام , ولا سيما من السكر الذي تتضاعف كمية المستهلك منه في هذا الشهر , و شملت أيضا توزيع الطعام المجهز .

عيد الفطر و الأضحى : فكانت توزع فيه كميات كبيرة من الحلوى و اللحوم , فكانت تشترى من ريع الأوقاف , رؤوس الإبل , و الجاموس , و البقر , و الغنم , لتذبح عادة في عيد الأضحى عند أبواب المدارس و الخوانق , أو تجاه الجامع , و توزع لحومها على الفقراء , و أبناء السبيل .

الكسوة : تنوعت الكسوة تبعا لشرط الواقف , فكانت من قماش لائق , أو من كتان , و بعضها مطرزة بالزخارف , و بعضها من الصوف لتلبس في الشتاء , و توزع الكسوة على الأيتام بأحياء المدينة . [2]

- **المستشفيات و الصحة** :

اهتم بعض ولاة مصر منذ فجر الإسلام بتقديم الرعاية الصحية لمختلف طبقات الشعب , و كان ذلك في بيمارستان و هو عبارة عن مستشفى عام لعلاج جميع المرضى , و كان مقسما الى قسمين أحدهما للذكور , والآخر للاناث , وكل قسم مقسم إلى قاعات : قاعة للامراض الباطنية , وقاعة للجراحة وقاعة للكحالة , (أمراض العيون) , وقاعة للتجبير , وكانت قاعة الأمراض الباطنية مقسمة هي الأخرى إلى أقسام صغيرة تبعا لاختلاف الأمراض فمنها قسم للمحمومين , وهم المصابون بالحمى , وقسم للممرورين وهم مرضى الجنون , وقسم للمبرودين آي المتخومين , وقسم لمن به إسهال , وهكذا وكان لكل قسم من أقسام البيمارستان ما بين طبيب وثلاثة حسب اتساع القسم وعدد المرضى, ولكل قسم رئيس , فكان فيه رئيس للأمراض الباطنية : ورئيس للجرائحيين , ورئيس للكحالين . [3] , و شملت الأوقاف في مجال الرعاية الصحية المرضى الفقراء في بيوتهم , و للأوقاف أيضا أثر كبير على النهوض بعلم الطب و العمل على ترقيته , ذلك أن خدمات البيمارستنات لم تقتصر على العلاج فقط , بل تعدت إلى تدريس الطب و الإهتمام به [4]

[1] سعيد عاشور , المجتمع المصري , ص 177 .
[2] نفسه , ص 178 .
[3] د. أمين , المرجع السابق ,ص 179 .
[4] د. أمين محمد , المرجع السابق , ص 170 .

و خصص البعض وقفه على كسوة الخارجين من البيمارستان بعد شرائهم , و تجهيز ودفن من يمت من المرضى , حتى لو مات بين أهله .[1]

- **انشاء المساجد و الجوامع :**

شهدت مصر في ذلك العصر نشاطا دينيا منقطع , كانت له أسبابه المتعددة , والتي منها ما يتعلق بسلاطين المماليك و أمرائهم أنفسهم , و منها ما يتعلق بالسياسة العامة للدولة , وقد تعمد المماليك إكثار من إنشاء المؤسسات الدينية و الظهور بمظهر التقوى أمام الشعب المصري , و في هذا المجال قامت الأوقاف بدور كبير من أجل تدعيم المساجد و الجوامع , و يمكن القول أن قوة الشعور الديني قي ذلك العصر في مصر صحبها ازدهار الأوقاف و انتشارها , و بفضل أموال الأوقاف أنشئ في مصر الكثير من المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس , و بالإضافة إلى الجوامع و المساجد فإن مصر عرفت كثيرا من المنشأت الدينية , مثل المدارس , و الخوانق و الربط , و هذه المؤسسات و ان كان لكل منها وظيفة أساسية محددة , إلا أنه أقيم في غالبها منبر و أقيمت فيها الصلوات , فظلا على أن واقفيها رتبوا فيها من الموظفين من يقوم بالشعائر الدينية . [2]

2. الأوقاف والآثار الاقتصادية:

شرعت الأوقاف في الإسلام لتؤدي دورا في حياة المجتمع الإسلامي لا غنى عنه , و لتقدم للمسلمين خدمات اجتماعية معينة , و الخروج بالأوقاف عما شرعت من أجله كانت له أثار سيئة بالنسبة للأحوال الاقتصادية , و لذلك نجد الإمام أبا حنيفة لم ير وقفا لازما إلا ما كان مسجدا , متتبعا أثر الرسول عليه الصلاة و السلام , و لكن الفقهاء في الوقف في العصور التالية أدت إلى وقف لكامل ممتلكاتهم سواء كانت أراضي زراعية أم مبان أو غير ذلك , فقد اتسع نظام الوقف إلى درجة كبيرة حتى شمل أيضا الدراهم و الدنانير , و حتى أصبحت معظم مباني مصر و القاهرة موقوفة .

يضاف إلى هذه الآثار الاقتصادية السيئة التي نجمت عن كثرة الأوقاف مع انحرافها عما شرعت من أجله , بعض الآثار الاجتماعية و الاقتصادية السيئة , ذلك أن نظام الوقف بأوضاعه و ظروفه في ذلك العصر مدعاة البطالة و البعد عن الحياة الجادة العاملة , و الانصراف إلى الحياة اللاهية الخاملة , و ترتب على ذلك نتائج اقتصادية سيئة نتجت عن اعتماد الكثيرين على الأوقاف سواء كانوا مستحقين فيها أو من أرباب الوظائف .

[1] د.أمين محمد , المرجع السابق , ص 172 .
[2] سعيد عاشور , المرجع السابق , ص 160 .

لقد شملت الأوقاف معظم القاطنين بمصر آنذاك سواء المصريين أم غيرهم فتوجد أوقاف للمسلمين وحتى الأندلسيين والهنود والمغاربة وحتى أهل الذمة اشتركوا في الأوقاف يهودية ومسيحية، فقد استفاد الأجانب الفرنجة من أساليب الانتفاع الاقتصادي بالأوقاف ، مما يؤكد أهمية الدور الاجتماعي الاقتصادي بالأوقاف ، فقد شملت كل المجتمع بأي معيار للتقسيم سواء طبقي أو عرقي أو حتى ديني [1].

و من الواقفين أيضا من جعلوا بعض أوقافهم كمكافئة لبعض عتقائهم, فشرطوا تنزيلهم في وظائف معينة , و قرروا لهم المرتبات الكبيرة نسبيا عما يتقاضاه أمثالهم . [2]

أما طلبة العلم فإن غالبيتهم اتخذ ا من صفته كطالب علم وسيلة للحصول على المعلوم من الأوقاف , فاطمئن إلى ما يصل لديه سنويا من الأوقاف , و لم يجد في نفسه حاجة تدعوه إلى العمل و بذل الجهد . [3]

أما أقارب الواقف و ذريته فكانوا أكثر اعتمادا على الأوقاف, و خاصة أن معظم وثائق الوقف اهتمت بالوقف على الذرية. [4]

وقد كان للعامل الاقتصادي للأوقاف أثر هام على انحراف السلوك الاجتماعي للفئات العديدة من فئات المجتمع المصري فقد عم التحاسد والتباغض بين الإخوة والأقارب على العائد الاقتصادي لأوقافهم ورفعت قضايا اتهام بالخيانة بينما علماء الشريعة كانوا يتنافسون حول وظائف الوقف أما بالنسبة للقضاء وجدنا أحد القضاة يستغل الوقف لحرمان بناته وبناة أقربائه من الانتفاع منه مع أن هذا الأمر مكروه شرعا.[5]

و هكذا خرجت الأوقاف عما شرعت له بمعناه الإسلامي الدقيق , و حسب ما جاء به الرسول عليه السلام , و بعد أن كانت الأوقاف أحدى الوسائل من أجل تحقيق التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي , أصبحت الأوقاف عالة على المجتمع المصري تبدد ثرواته في أمور أقل ما توصف به أنها ليست من الدين في شيء.

وبمرور الزمن وانتقال الوقف إلى الذرية طبقة بعد أخرى , طبقا لشرط الواقف , كثر المستحقون وزاد عددهم , فقل نصيب ما يستحقه كل واحد من المستحقين إلى درجة جعلت كل منهم يهمل ما يستحقه ولم يجد

---

[1] د.محمد أمين , المرجع السابق , ص 286 .
[2] نفسه , ص 288 .
[3] د.محمد أمين , المرجع السابق , ص 288 .
[4] نفسه , ص 289 .
[5] محمد عفيفي ، **الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني** ، الهيئة المصرية لصناعة الكتب ، دط ، دب، 1991م، ص 211 , 215

أي منهم من الدوافع الذاتية ما تجعنه يهتم بعمارة الأوقاف أو العمل على استمرارها والأوقاف ثروات طائلة أدى إهمالها إلى إهمال جانب كبير من ثروات البلاد .

فان الأوقاف من ناحية أخرى كانت هي المصدر الرئيسي للثروة التي تمتم بها المعممون , وهم أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب , والذين كانوا يمثلون الفئة الثانية في بناء المجتمع المصري في ذلك العصر . .[1]

3. تدهور الأوقاف :

ازدهرت الأوقاف في مصر ازدهارا كبيرا حتى تغلغلت الأوقاف فى معظم الأنشطة , وأصبح الوقف على كل شيء تقريبا , ولكن هذا الازدهار , وهذا التنوع حمل في طياته عوامل الانهيار والتدهور , لان كثرة الأوقاف , وضخامة ريعها . وتنوع مصارفها جعلها مطمع السلاطين والأمراء , ولا سيما في وقت الأزمات . فتطلعوا إلى حلها وإقطاعها أو استبدالها , كما تطلعوا إلى اغتصابها واستغلالها , كذلك تطلع أصحاب النفوس الضعيفة من القضاة والمباشرين الى أموال الأوقاف , مما أدى إلى فسادها وخرابها .[2]

و على هذا المنوال و في ظروف الحرب التي كانت ف مصر سواء ضد العدو الخارجي , أو ضد الفتنة الداخلية , حاول بعض سلاطين المماليك أن يستغل ظروف الأزمات , ليحصل من القضاة والفقهاء على فتوى بحل الأوقاف , أو الاستيلاء على فائض ريعها , وعلى أموال العامة , ولكن في جميع الحالات رفض القضاة والفقهاء إصدار مثل هذه الفتوى .[3]

وإذا كان بعض سلاطين المماليك وأمرائهم قد استباحوا حل الأوقاف , واغتصابها , واستغلالها , ووجدوا مساعدة على ذلك من بعض القضاة والعلماء الذين مالوا مع الجاه والسلطان , فقد وجد من القضاة والفقهاء من قاموا بدور مباشر في تدهور الأوقاف.[4]

و كذلك استغل بعض القضاة وظائفهم و عملوا على الإستلاء على الأوقاف لأنفسهم[5]

[1] د.محمد أمين , المرجع السابق , ص 294 .
[2] محمد عفيفي , المرجع السابق , ص 220 .
[3] د. محمد أمين , المرجع السابق , ص 223 .
[4] نفسه , ص 261 .
[5] نفسه , ص 264 .

وهكذا بلغت الأوقاف درجة من التدهور , وفساد أحوالها حتى جعل بعض العلماء والفقهاء يرفضون تولى القضاء من أجل النظر في الأوقاف . [1]

[1] نفسه , ص 266 .

الخاتمة

الخاتمة

لقد أمدتنا كتب الرحالة الفرنسيين بمعلومات تاريخية عن مصر أواخر العصر العثماني, توصلنا من خلالها إلى عدة نتائج , نذكر منها :

1. لقد أشار علماء الحملة الفرنسية إلى تعداد المجتمع المصري و التفصيل في طبقاته, فدون هؤلاء تفاوت الطبقات المجتمع و اختلاف الأجناس و الطوائف فيه, و من بينهم الرحالة الفرنسي فولني الذي جاء في كتاباته عن توافد مختلف الأجناس في مصر .

2. ظهرت لنا شخصيات الرحالة و أمزجتهم و نفسيتهم و دياناتهم من خلال ما كتبوه عن مصر و نخص بالذكر العادات و التقاليد المتوارثة في ذلك الوقت , فمثلا الرحالة ميله الذي أشار للزواج , حيث شكك في قداسته و علل ذلك من خلال ذكرة لظاهرة تعدد الزوجات عند المسلمين مقارنا ذلك بأوروبا على أنه لا يوجد طلاق , فكتب الرحالة ميلي بصورة سلبية عن الأمر ذلك لأنه يخالف ديانته , فيما خصص الرحالة سونيني حديثه عن الختان و الاحتفال به و رآها على أنها ظاهرة جديدة بالنسبة للأوروبيين . حيث أعاب عليها من خلال كتاباته , و من العادات التي وجدوها لافتة للإنتباه ظاهرة تكفين الموتى , ووجود نساء مهنتهم البكاء في الجنائز . أما بالنسبة للباس في مصر في ذلك الوقت فأشاروا إلى بساطته بالنسبة للفلاح المصري .

3. كما أمدتنا كتابات الرحالة الفرنسيين بمعلومات عامة حول الحياة اليومية بالنسبة للفرد البسيط , فتحدثوا بإطناب عن الوضع المزري الذي أل إليه المجتمع المصري و ما أصابه من جفاف الذي كان سببا في غلاء الأسعار و انتشار المجاعة و الأوبئة و الأمراض و عن كيفية التطبيب و العلاج من هذه الأمراض التي كانت طرق بدائية بدورها .

4. أشارت الرحالات الفرنسية لمصر إلى الحرف التي امتهنها المصريون و علاقتها بأهل الدين.

إضافة إلى ذلك دونوا ملاحظاتهم عن المرأة في المجتمع , حيث أفاض بعض الرحالة الفرنسيين بتعظيم جمالها و دورها في المجتمع , فيما خالف البعض منهم أمثال فولني الذي لم يحب مصر , واصفا لباسها بالأشباح , و أنها لا تتمتع بأي نوع من الحرية في مجتمعها .

5. صور الرحالة الفرنسيين أحوال مصر من النصف الثاني للقرن الثامن عشر , فسجل هؤلاء في تقاريرهم عن المنازعات السياسية بين المماليك حول كرسي العرش و عن سكان مصر المغلوب عنهم و عن الانقسامات الداخلية , كما ذكروا عن تدهور الوضع الإقتصادي أنذالك بسبب تحول النشاط

6. روج الرحالة الفرنسيين من خلال كتاباتهم لحكوماتهم لغزو مصر و يظهر ذلك في رسائلهم عن وصف الأوضاع الإجتماعية المتردية و ركود مستوى الوعي و جمود الحياة الثقافية في مصر , في حين أشارة الرحالة لثروات مصر و عن التجارة التي تزدهر في ظل هذه الأوضاع .

7. و من خلال كتابات الرحالة و التقارير استطاعت الحكومة الفرنسية تكوين فكرة عن مصر , و بذلك أصبحت فكرة غزو مصر فوق طاولة النقاش , ويظهر ذلك من خلال حملة الجنرال الفرنسي بونبرت على مصر .

8. كما لعبت كتابات الرحالة الفرنسيين عن العمارة المصرية مددنية كانت أم دينية , فعكسوا صورة مصر من أزقة, و شوارع , و منازل, و قصور , و حمامات ,و مساجد في كتب أصبحت للقارئ عبارة عن مصادر , يعتمد عليها لمعرفة مصر ف القرن الثامن عشر .

المصادر و المراجع

❖ **المصادر**

- **المصادر باللغة العربية**

1. س .ف.فولني، ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام ،الجزء الأول، تر:ادوارد البستاني ،منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة،الطبعة الأولى ، لبنان ،1949م .
2. عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، عجائب الأثار في التراجم والأخبار،تح:عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003م .
3. علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر(المصريون المحدثون)،تر:زهير الشايب ،الجزء الأول ،صندوق التنمية الثقافية ط3.

- **المصادر باللغة الفرنسية**

1. Carre , Jean : Voyageurs et écrivains Français en Egypte , Le Caire 1922 , 1P
2. Climent , les Francisais D'Egypte au XVII et XVIII siècles , le,Caire 1960 .
3. Maillet , description de l'Egypte , Labbe le mascrier composée sur les mémoires de M.Maillet ancien consul de France au caire , paris , 1735
4. PAR G .A.OLIVER : voyage dans Lempire othoman legypte et la perse ,a paris .
5. Savary , lettre sur L'Egypte , Paris , 1786 , 3 tomes seconde édition, p201 205.
6. SONONI , C.voyage en Égypte Paris 1793 3 tomes

❖ **المراجع**

7. بيتر جيران ،الجذور الإسلامية للرأس مالية(1760/1840م)،تر:محروس سليمان، مراجعة رؤوف عباس، دار الفكر للدراسات والنشروالتوعبد الرحمان الرافعي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ،1987م .
8. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، فصول من تاريخ مصر الإقتصادي والإجتماعي في العصر العثماني،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990م .
9. إبراهيم رمزي , كلمات نابليون , ط1 , مؤسسة الهنداوي لتعليم و ثقافة , جمهورية مصر العربية , القاهرة 2014 .
10. ابن الظهيرة , الفضائل الباهرة في محاسن مصر و القاهرة , دار الكتب , 1969 .

11. أبو القاسم سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954 , ج4 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , 1998 .

12. أحمد عبد العزيز علي عيسى , تاريخ العرب الحديث و المعاصر , ط1 , دار الفكر , عمان , الأردن 2010 .

13. أحمد غراب ؛ قراءة في الأدب العربي الحديث العلم نور والإيمان , ط1 , دار الفكر للنشر , مصر , 2011 .

14. اسماعيل أحمد ياغي , العالم العربي في التاريخ الحديث , ط1 , مكتبة العبيكات , الرياض , السعودية , 1997 .

15. إلهام محمد على ذهني، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992 .

16. أندريه ريمون ، القاهرة العثمانية بوصفها مدينة : شؤون البلديات ومشكلات المرافق ، الجمعية التاريخيية المصرية ، الع: 20 ، 1973م .

17. أندريه ريمون، أحياء القاهرة الشعبية في القرن الثامن عشر والحركات الجماهيرية التي قامت بها ، مجلة الطليعة، د ع، دار المنظومة .

18. أندريه ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة القرن 18م .

19. أندريه ريمون،الحرفيون والتجار في القاهرة القرن 18 ، تر: ناصر أحمد إبراهيم باتسي جمال الدين ، مر: رؤوف عباس ، ج1 ، ط1،2005م .

20. أيمن فؤاد السيد , القاهرة خططها و تطورها العمراني , ط1 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر 2010 .

21. توفيق الطويل ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، مكتبة الآداب الجماهيرية.

22. ثروة عكاشة , مصر في عيون الغرباء الرحالة و الفنانين و الأدباء القرن التاسع عشر , القاهرة 1981 م ج1 .

23. جرجى زيدان؛ **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم 2** , مؤسسة الهنداوي , القاهرة , مصر , 2012 .

24. جمال الدين الشيال , الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية , مكتبة الثقافة الدينية , بور سعيد , مصر , 2000 .

25. جمال كمال محمود ، الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2010 .

26. جون أنتيس . مذكرات رحالة عن المصريين , تر : سيد أحمد علي الناصري , ط 1 , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , 1997 .

27. جون لويس بوكهارت ، **العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد على** ، تر: إبراهيم أحمد شعلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط3 ، ص142.

28. جون ماري كاريه , رحالة و أدباء فرنسيون في مصر , تر: سونيا نجا , مكتبة الكويت الوطنية , الكويت ,2006 .

29. حسن جلال , حياة نابليون , ج1 ,لجنة التأليف و الترجمة و النشر (سلسلة المعارف العامة) .

30. حسين مؤنس , الشرق الإسلامي في العصر الحديث , ط1 , مطبعة الحجازي , القاهرة , مصر

31. د.أمين محمد , الأوقاف و الحياة الإجتماعية في مصر ,ط1 , دار الكتب و الوثائق القومية , القاهرة , 2014 .

32. رانيا الهاشم , قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم , ج (17-18) , 1988 .

33. رفعت , تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة , ج1 , المطبعة الأميرية بولاق , القاهرة مصر , 1934 .

34. روبير سوليه , مصر : ولع فرنسي , تر: لطيف فرج , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1999 .

35. رؤوف سلامة موسى , موسوعة أحداث وأعلم مصر والعالم , ج 2 , ط1 دار ومطابع المستقبل بيروت , لبنان , 2002 .

36. زين العابدين شمس الدين نجم , تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر , ط1 ظو دار المسيرة , عمان , 2012 .

37. صلاح أحمد هريدي ،**الجاليات الأوروبيات في الإسكندرية في العصر العثماني** ، دراسة وثائقية من سجلات المحاكم الشرعية(923 - 1213هـ/1517 - 1798م) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1979م .

38. عائشة بابه ، الأسر التجارية المغاربة بمصر في القرن 12هـ ،18م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخص العلاقات بين المشرق والمغرب ، السنة الجامعية 2010 - 2011م .

39. عبد الرحمان الرافعي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ،1987م.

40. عبد العزيز نوار , تاريخ العرب المعاصر مصر و العراق , دار النهضة العربية ,بيروت , 1983 , ص 74 .

41. عبد العزيز نوار , تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق , دار النهضة العربية , بيروت , 1983 .

42. عبد الغنى , أحمد شلبي , أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء و البشوات , تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمان .

43. عفاف لطفي السيد مارسو , مصر في عهد محمد علي , تر: عبد السميع عمر زين الدين ,ط1 , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , 2004 .

44. عمر عبد العزيز , تاريخ المشرق العربي (1516/ 1966) , دار النهضة العربية , بيروت , لبنان , 1984 .

45. فاروق الأباضة , عدن و سياسة البريطانية في البحر الأحمر , القاهرة 1997 .

46. فاطمة الزهراء ليماني،مريم رميدي،دراسة مقارنة بين إسطنبول والقاهرة خلال القرنين 12-13هـ/19-19م (المجتمع والعمران أنموذجا)،م ش م ت دع، س ج ،2019-2020م ، جامعة الدكتور يحيى فارس ، المدية .

47. فرج محمد الوصيف , مصر بين حملتي لويس و نابليون , ط1 , دار الكلمة , مصر , 1998 .

48. لطف الله بن أحمد حجاف , نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر , ط2 , مركز الدراسات اليمنية صنعاء , اليمن , 1989 .

49. محمد شبارو , المقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي و الغزو البريطاني , دار التضامنَ , لبنان , 1992 .

50. محمد سيد محمود حسين ، **الزواج في مصر العثمانية ، مكتبة** الإسكندرية ،مصر 2017 .

51. محمد صبري , تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم , ط1 , دار الكتب المصرية , القاهرة , 1926 .

52. محمد عفيفي ، الأوقاف والحياة الإقتصادية في مصر في العصر العثماني ، الهيئة المصرية لصناعة الكتب ، دط ، دب، 1991م .

53. محمد فرج , النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية , دار القومية , 1999 .

54. محمود حامد الحسيني , الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517-1798م , مصر , 2008 .

55. مرفت أسعد عطاء الله، الحياة الإجتماعية لبكوات المماليك في مصر في القرن الثامن عشر، السنة الحادية عشر،جمادى الأخرة رمضان1429م،العددان الثاني والثالث والأربعون جوان سبتمبر2008م . .

56. المعلم نقولا الترك , الحملة الفرنسية على مصر و الشام , محقق دكتور ياسين سويد ,ط1 , دار الفرابي , بيروت , لبنان 1990 .
57. مولا علي , الموسوعة العربية الميسرة, ط1 , شركة أبناء شريف أنصاري , بيروت , لبنان 2010 .
58. ميكل ونتر , المجتمع المصري تحت الحكم العثماني , تر: بشير سباعي , ج1-ج2 , دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع , القاهرة , 1992م .
59. ناصر عبد المتجلى إبراهيم ، الإسكندرية في العصر العثماني (الحياة الإقتصادية والإجتماعية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
60. نمير طه ياسين , تاريخ العرب الحديث و المعاصر , ط1 ,دار الفكر , عمان2010 .
61. هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي والغرب، القاهرة،1989م.
62. هدى محمد عباس القطب , أسماء عواصم مصر عبر العصور , الشبكة القومية للمعلومات الإحصائية , القاهرة 2011 .
63. هنري لورانس، الأصول الفكرية للحملة الفرنسية على مصر الإستشراق المتأسلم في فرنسا (1698-1798)، تر: بشير السباعي، دار شرقايات للنشر والتوزيع .
64. يسرى الجوهري , جغرافية مصر السياسية , مطبهة الإشعاع الني , مصر , 1998 .

❖ **المذكرات**

○ **مذكرات الماستر**

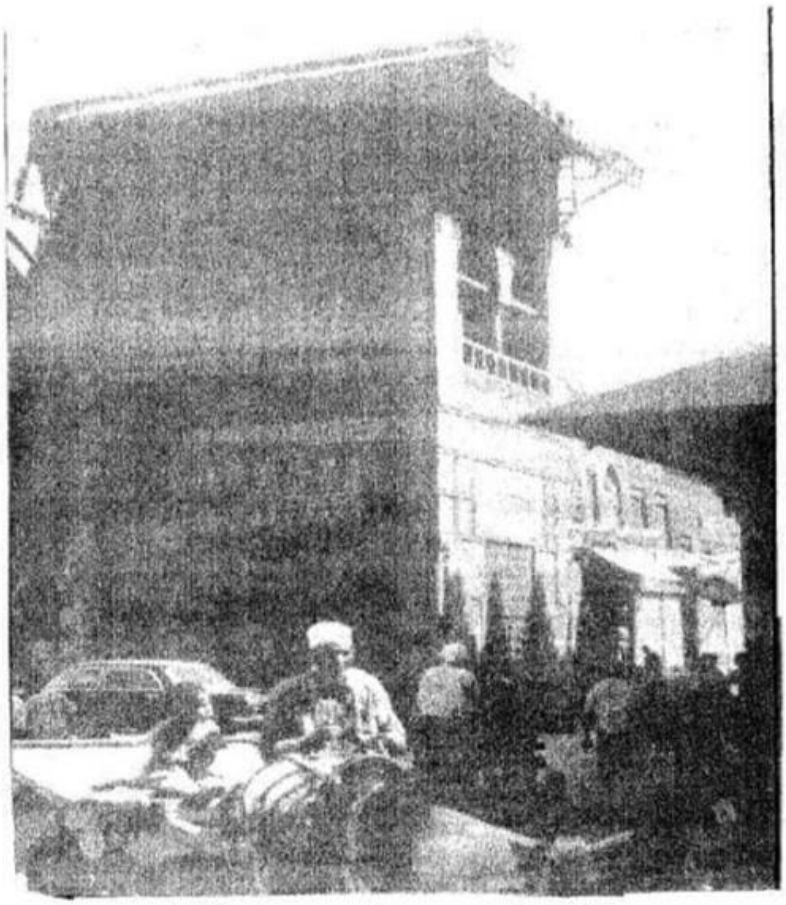
65. نسيمة مسوس , نورة سحاب , المجتمع الإسطنبولي في القرن 16 م /10 ه ,مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر 1453-1924م ,جامعة المدية .
66. وداد زوبيري , حملة نابليون بونبرت على مصر 1798-1801 , مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر , تاريخ معاصر , جامعة محمد خيضر , جزائر , بسكرة , 2014.2015 .

○ **مذكرات الماجستير**

67. خيرة الطار،الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية (فولني نموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الدولة العثمانيةوالمشرق العربي ، جامعة الجزائر-2- السنة الجامعية 2013/2012م .

الملاحق

الملحق رقم 01 : الأسبلة في القاهرة.



الشكل ٦٧ : ـ سبيل خسرو باشا في القاهرة



الشكل ٧٦ : ـ سبيل سلطان محمود في القاهرة نقلا عن كوست

انظر: أندريه ريمون، " العواصم العربية..."، المرجع السابق، ص-ص، 140-151.

الملحق رقم (10): لباس الرجال في القاهرة.



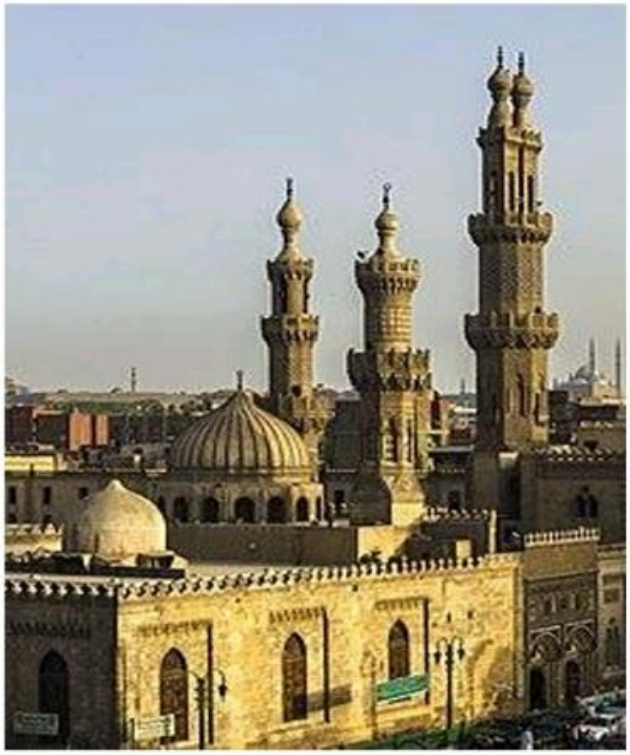
رجال من الطبقتين المتوسطة والغنية



رجال الطبقة الفقيرة

انظر: إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، ص-ص، 43-46.

الملحق رقم (13): المسجد الأزهر الشريف.







طلبة الأزهر قديما. **أروقة الأزهر.**

انظر: أحمد عز الدين خلف الله، الأزهر وفجر النهضة القومية الحديثة، ص، 32.

04

الملحق رقم 05 المنازل في القاهرة.



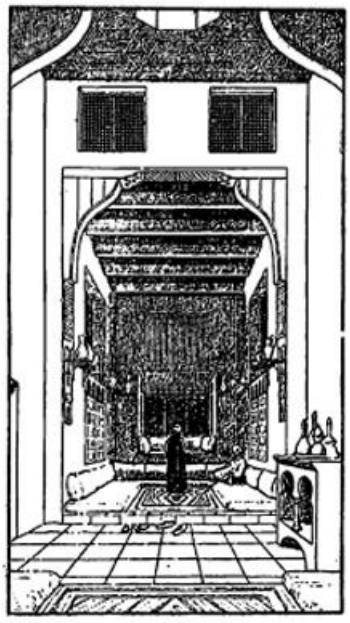
المنازل الخاصة في القاهرة



باب أحد المنازل الخاصة في القاهرة



فناء منزل خاص في القاهرة



القاعة

انظر: إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، -ص ، 16-21.

الفهرس , الملاحق

الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	**الشكر والعرفان**	
02	**الاهداء**	
03	**مقدمة**	4-2
04	**المبحث التمهيدي**	8-6
05	**المبحث الأول: دور الرحالة الفرنسيين في تدوين أوضاع المجتمع المصري في القرن 18م**	10
06	**المطلب الأول**: طبقات المجتمع المصري	11
07	**المطلب الثاني:** العادات والتقاليد	15
08	**المطلب الثالث:** الحياة اليومية	20
09	**المبحث الثاني: أوضاع مصر قبيل الحملة الفرنسية من خلال كتابات الرحالة**	30
10	**المطلب الأول:** الواقع السياسي والاقتصادي	31
11	**المطلب الثاني:** الواقع الاجتماعي و الوعي الثقافي	39
12	**المطلب الثالث:** الحملة الفرنسية على مصر	43
13	**المبحث الثالث: العمارة والأوقاف في القرن 18م**	50
14	**المطلب الأول:** العمارة المدنية	51
15	**المطلب الثاني:** العمارة الدينية	57
16	**المطلب الثالث:** الوقف وأثاره على المجتمع المصري	60
17	**الخاتمة**	66
18	**قائمة المصادر والمراجع**	69
19	**الملاحق**	76
20	**الفهرس**	82